روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جداً!!

٨٤

كنز الفضاء

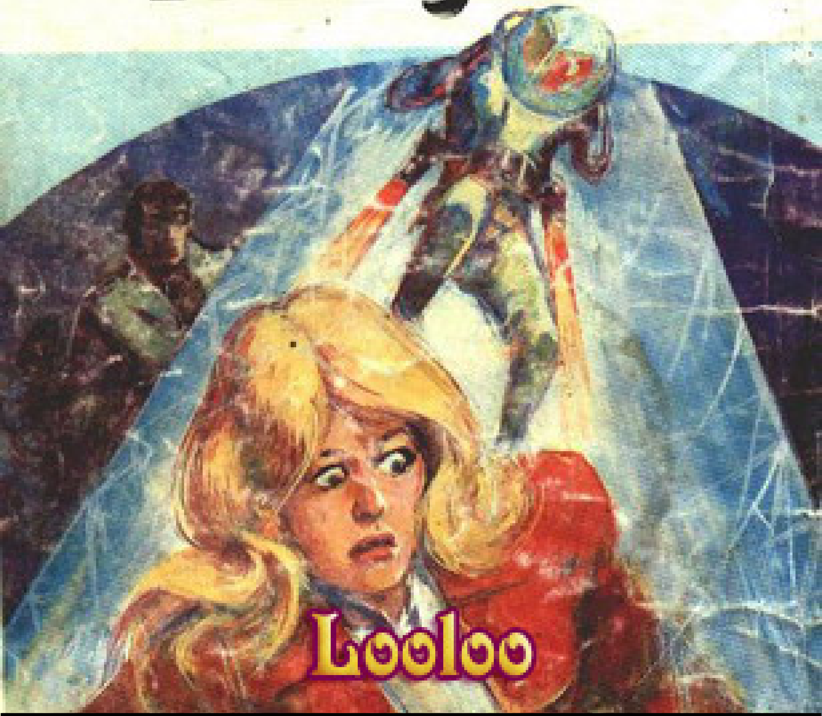

Looloo

www.helmelarab.net

١ ــ العودة ..

اندفعت (مشيرة محفوظ)، صحفية (أنباء الفيديو)، الشهيرة، داخل المقر السرى لفريق (نور)، أو ما تبقّى منه، وهى تهتف فى حماس وحرارة، متهللة الأسارير :

ـ صباح الخير يا رفاق .. أين (نور) ؟

التفت إليها (رمزى) و (محمود) فى تساؤل، فى حين اعتدلت (نشوى)، وتوقّفت عن العمل فى جهاز الكمبيوتر الصغير، الذى كانت تنتزعه من مكانه فى حرص، وسألت (مشيرة) فى حيرة :

ـ لماذا تسألين عنه بهذا الحماس ؟

لوّحت (مشيرة) بذراعيها فى انفعال، وقالت :

ـ قنبلة .. لدى قنبلة .

هتفت (سلوى) فى توتر :

ـ قنبلة ؟! .. أية قنبلة يا (مشيرة) ؟

ارتسمت على وجه (مشيرة) ابتسامة حماسية كبيرة، وهى تقول :

ـ قنبلة صحفية .. أوّل قنبلة صحفية، فى العصر الجديد .

ردّد (رمزى) فى شىء من الاستنكار :

ـ قنبلة صحفية ؟! .. هل استعاد العالم حضارته إلى هذا الحد ؟

رمقته (مشيرة) بنظرة غاضبة، وقالت في حدة :

ـ أين (نور) ؟.. هو الوحيد الذي سيفهمني.

أتاها صوت (نور) من خلفها، وهو يقول :

ـ ما الذي سأفهمه بالضبط يا (مشيرة) ؟

التفتت إليه في حركة حادة، وقالت في حماس :

ـ (نور) .. مرحبًا يا (نور) .. أتدري ما الذي نجحت فيه ؟.. لقد أصلحت شبكة البث الهولوجرافي، التي أقامها المحتلون في كل أنحاء العالم، وأمكنني العثور على عدد من الزملاء السابقين، في (أنباء الفيديو)، وقررنا بدء البث الليلة .. ستكون أول لمحة حضارة يا (نور)، بعد أن انتهى كل شيء ..

تطلع إليها (نور) لحظات في صمت، دون أن يعلق ..

كان عقله يستعيد ذكريات مضت ..

ذكريات احتلال كوكب الأرض، من قبل غزاة كوكب (جلوريال) الطغاة، الذين انقضوا على الأرض بغتة، وبأسلحة شديدة التطور، ونجحوا في تدمير كل حضارتها وعلومها في ساعات قليلة، استتب لهم الأمر بعدها، فسادوا الأرض، وفرضوا عليها سيطرتهم طويلاً(*) ..

استرجع ذكريات المقاومة والصراع والتحدي، التي أرهقت الغزاة، وبلبلت أفكارهم، حتى كشف (نور) وفريقه سر زعيم

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

الغزاة، الذي لم يكن سوى عدوهم اللدود، نصف الشيطاني، الذي أراد تحويل الأرض إلى جحيم هائل، لولا أن هزمه (نور)، فانتقم (ابن الشيطان) بتفجير قنبلة (جاما) في سماء الكوكب، مما أفقد الأرضيين عقولهم وحضارتهم، وعاد بهم إلى سنوات التخلف والوحشية(*) ..

وعاش العالم همجية العصور المتوحشة، وكاد يفقد حضارته إلى الأبد، لولا أن توصل (نور) وفريقه إلى وسيلة الخلاص، وضحى (س ـ ١٨) بنفسه، ليعيد إلى البشر عقولهم حضارتهم(**) ..

« ما رأيك يا (نور) ؟. » ..

انتزعه سؤال (مشيرة) من ذكرياته، فسرت في جسده انتفاضة خفيفة، وكأنما يستيقظ من نوم عميق، وتطلع إلى (مشيرة) لحظات في صمت، قبل أن يسألها :

ـ رأيي في ماذا ؟

صاحت مستنكرة :

ـ ألم تستمع إليّ يا (نور) ؟.. كنت أتحدث معك بشأن إعادة البث الليلة .

ابتسم ابتسامة شبه شاردة، وهو يقول :

ـ رائع يا (مشيرة) .. رائع .

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

(**) راجع قصة (أرض العدم) .. المغامرة رقم (٨٣) .

تهللت أساريرها ، وهى تقول :

ـ إذن فأنت توافق على إجراء المقابلة .

نفضت العبارة الأخيرة عن ذهنه كل ما تبقى من الشرود ، وانتفض جسده انتفاضة حقيقية هذه المرة ، وهو يحدّق فى وجهها ، قائلاً :

ـ المقابلة ؟!.. أية مقابلة ؟

ضربت (مشيرة) الأرض بقدمها كالأطفال ، وهى تقول :

ـ (نور) .. من الواضح أنك لم تستمع إلى حديثى بالفعل .

قال فى حدة :

ـ أى حديث ؟

ابتسمت (سلوى) ، وهى تقول :

ـ (مشيرة) تريد أن تجرى مقابلة معك ، على الهواء مباشرة ، يتم بثها إلى كل أنحاء العالم فى آن واحد ، حول نجاحك فى إنقاذ العالم مرتين .

قال فى دهشة :

ـ نجاحى ؟!.. مرتان ؟!

قالت (مشيرة) فى ضيق :

ـ نعم يا (نور) .. ألم تنجح بالفعل ، فى إنقاذ العالم مرتين ؟.. مرة من الغزاة ، والثانية من آثار قنبلة (جاما) ؟

أجابها (نور) فى حزم :

ـ بل أنت أخطأت مرتين يا (مشيرة) ، فلم أنجح وحدى فى

إنقاذ الأرض ، بل نجحنا كفريق فى هذا ، وفى المرة الثانية عاونتنا (أكرم) ، و (نادر) رحمه الله ، والدكتور (رشاد خيرى) ، والأخير يعتبر البطل الحقيقى ، بالاشتراك مع (محمود) ، ثم إننى لم أنقذ الأرض لأزهو بهذا ، بل فعلت لأن هذا واجبى ، ولم أعتد الفخر بما يحتم الواجب فعله .

هزّت رأسها فى اعتراض ، وقالت :

ـ ولكنك الرمز يا (نور) .. رمز المقاومة والنصر .. رمز نجاح الأرض فى هزيمة الغزاة ، والعالم كله يتلهف لرؤيتك ، كرمز جديد ، لبدء رحلة الحضارة .

قال (نور) فى عناد :

ـ فليعتد العالم الجديد إذن ألا يتباهى كل شخص بواجبه .

لوّحت بذراعيها ، هاتفة :

ـ ولكنك تضعنى فى موقف شديد الحرج يا (نور) .. لقد بدأت البث التجريبى هذا الصباح بالفعل ، وأعلنت أننى سألتقى بك فى المساء ، هنا .. فى المقر السرى .

أجابها فى صرامة :

ـ وهذا ثالث خطأ يا (مشيرة) ، فقد كان من الضرورى أن تسألينى الموافقة أولاً ، ثم إن هذه آخر ساعاتنا فى المقر السرى ؛ فلم تعد هناك ضرورة لوجود مقر سرى ، بعد أن انتهى الصراع ، وسننتقل بعد قليل إلى مقرّنا الجديد ، فوق جبل المقطم .

هتفت بلهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ (نور) .. أرجوك .

ولكنه أجاب فى حدة :

ـ إنها مشكلتك أنت يا (مشيرة) .

كان من الواضح أنه لن يتراجع عن رأيه قط ، فارتسم اليأس على وجهها ، وقالت :

ـ يا للخسارة !!.. إنك برفضك هذا ستتسبب فى أضخم موجة إحباط عالمية يا (نور) ، ولست أدرى كيف أعتذر للمشاهدين عن هذه المقابلة ، بعد أن أثرت لهفتهم فى الصباح ، بحديثى عن المقر السرى ، ورحلة (نشوى) إلى بعد آخر ، وتلك المكعبات الدقيقة ، التى تحتفظ بها ، والتى تضم كل علوم وفنون الأرض ، و ...

قاطعها (نور) فى حدة :

ـ هل ذكرت هذا للمشاهدين ؟!

أجابته فى توتر :

ـ وماذا فى هذا ؟

سألته (سلوى) فى حيرة :

ـ نعم يا (نور) .. ماذا فى هذا ؟

توجهت كل الأنظار إليه ، فى حين عقد هو حاجبيه ، وشرد ببصره ، وهو يجيب فى ضيق وقلق واضحين :

ـ لست أدرى ماذا فى هذا بالتحديد ، ولكن العالم يمر الآن بمرحلة جديدة ، يعيد فيها بناء حضارته وقوته ، وتتحدد خلالها مناطق القوة والسيادة ، وفى هذه المرحلة ، مثل أية مرحلة تاريخية أخرى ، يؤدى الانتخاب الطبيعى دوره ، بحيث تصعد

دول إلى القمة ، وتهبط أخرى إلى القاع ، وتولد دول عظمى ، فى نفس الوقت الذى تموت فيه عظمة دول أخرى .. والمقياس الوحيد لهذا يا رفاق هو قوة الدول وتقدمها ورقيها ، وستبذل كل الدول أقصى جهدها ، لتتبوأ مكانة كبيرة ، فى العالم الجديد .

سألته (نشوى) :

ـ وما شأن هذا بالمكعبات الكمبيوترية ؟

أجابها فى قلق :

ـ إنها صاحبة كل الشأن يا (نشوى) ، فالدولة التى تحصل عليها ، وعلى كل ما تحويه من علوم وفنون وتاريخ وحضارة ، ستصبح بالطبع أعظم دول العالم ، وهذا سيغرى العديدين بالحصول على هذه المكعبات ، مهما كان الثمن .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ ولكننا نحوزها بالفعل .

أجابه (نور) :

ـ إننا نحتفظ بها فحسب يا (رمزى) ، ولكنها حق للعالم أجمع ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وبدت على وجهه علامات التفكير العميق ، فسألته (سلوى) :

ـ فيم تفكر يا (نور) ؟

أجابها فى شرود :

ـ فى وسيلة لنشر كل ما تحويه هذه المكعبات على العالم أجمع ، قبل أن تنجح دولة ما فى الحصول عليها ، وحجب محتوياتها عن الآخرين .

انتقلت علامات التفكير من وجهه ، إلى وجوه الجميع ، وهم يفكرون فى الوسيلة ، ثم قالت (مشيرة) فى حماس :

ـ ما رأيك لو تم بث هذه المعلومات ، عبر شبكة الفيديو ؟

أجابتها (نشوى) :

ـ لقد فكرت فى هذا الاحتمال ، ولكن المؤسف أن مصانع أجهزة الكمبيوتر الحديثة لم تبدأ عملها بعد ، ولم يتم بعد إنتاج جهاز متطور ، يمكنه بث ، أو حتى نسخ برامج الكمبيوتر ، المحفوظة داخل المكعبات ، ليتم توزيع نسخ منها ، على كل الدول على الأقل .

سألتها (مشيرة) :

ـ وماذا عن أجهزة الكمبيوتر لديكم ؟

أجابت (سلوى) :

ـ كلها من طراز آخر ، يعتمد على الاسطوانات الليزرية ، وليس على المكعبات ، ذات السعة الهائلة .

اندفع (محمود) يقول فجأة :

ـ ولكن يمكننا تطوير أحد هذه الأجهزة ، بإمكانياتنا الفردية .

بدا الاهتمام فى وجه (سلوى) وصوتها ، وهى تقول :

ـ سيحتاج هذا إلى بعض الوقت .

أضافت (نشوى) فى حماس :

ـ والجهد .

أدار (نور) عينيه فى وجوه رفاقه ، وقال فى اهتمام :

ـ كم يحتاج هذا من وقت ؟

أجابته (نشوى) :

ـ أسبوع واحد على الأكثر .

تمتم (رمزى) :

ـ الكثير يُمكن عمله فى أسبوع ، حتى محاولة سرقة المكعبات .

أجابه (نور) :

ـ أنت على حق .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ إلا إذا .

سألته (نشوى) فى لهفة :

ـ إلا إذا ماذا ؟

برقت عيناه ببريق عجيب ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ إلا إذا نجحنا فى خداع الجميع .

سألته (سلوى) فى فضول :

ـ كيف ؟

ولكن ابتسامة (نور) اتسعت ، وهو يتلفت إلى (مشيرة) ، قائلاً فى هدوء :

ـ أظننى سأقبل إجراء المقابلة يا عزيزتى (مشيرة) .

هتفت فى دهشة :

ـ تقبل ؟!.. ولكنك ..

اتسعت ابتسامته أكثر وأكثر ، وهو يقول :

ـ إنه العمل يا عزيزتى .. العمل .

وفى هذه المرة أدركت (سلوى) أن أيام الصراع قد عادت .. عادت بلا رجعة .

* * *

وتوقف عند بقايا شعلته المحطمة، فوق الشاطئ الصغير، وهبط منه رجل وامرأة ..

٢ ـ القوة ..

عبر زورق بخارى بسيط مياه المحيط الأطلنطى، متجهًا نحو تلك الجزيرة، التى كان يقف فوقها تمثال الحرية فيما مضى، وتوقف عند بقايا شعلته المحطمة، فوق الشاطئ الصغير، وهبط منه رجل وامرأة، لاتشف ملامحهما الجامدة عن أية انفعالات، تدور فى أعماقهما، عندما استقبلهما رجل غليظ الملامح، ضيق العينين، وهو يقول فى صوت خشن، ولهجة جافة رسمية :

ـ (كيرك) و (ساندرا) .. أليس كذلك ؟

ارتسمت على شفتى المرأة ابتسامة باهتة، تحمل شيئًا من السخرية، فى حين أجاب الرجل فى برود :

ـ أظن هذا .

رمقهما الأخير بنظرة حادة، ثم أشار إليهما فى صرامة، قائلًا:

ـ اتبعانى .. إنه ينتظركما .

قادهما إلى داخل قاعدة تمثال الحرية القديم، ثم عبر معهما ممرًا جانبيًا قصيرًا، قاد ثلاثتهم إلى حجرة خالية تمامًا، بلا نوافذ، أدارت (ساندرا) عينيها فيها، ثم تمتمت فى سخرية :

ـ هل سنلتقى بالرجل الخفى ؟

قال الغليظ فى صرامة :

ـ اصمتى .

ثم ضغط زرًا خفيًا فى الجدار ، وعاد يقف معهما فى منتصف الحجرة بعد أن أغلق بابها ، وران على المكان صمت تام لدقائق ، قال (كيرك) فى برود :

ـ ما المفروض أن يحدث ؟

أجابه الرجل فى لهجة شبه ساخرة :

ـ لقد حدث بالفعل .

ثم اتجه إلى الباب ، وفتحه ..

وكانت المفاجأة ..

لم يكن المشهد الذى أطل عليهما من الباب ، هو نفس المشهد السابق ، لمدخل قاعدة التمثال ، بل كانت أمامهما قاعة ضخمة ، أحالتها الأضواء الصناعية إلى شعلة من النور ، وجعلتها الحركة الكثيرة المطردة داخلها كشعلة أخرى من النشاط ، حتى أن (ساندرا) هتفت فى انفعال :

ـ يا إلهى !.. ما كل هذا ؟

ابتسم الغليظ فى شىء من الزهو ، وهو يقول :

ـ إنه أعظم إنجازات العصر الحديث .

وتبعاه خارج الحجرة ، وهو يتابع :

ـ ما ترياه الآن هو المقر الجديد ، لإدارة المخابرات العلمية الأمريكية .. أول ما أنجزناه ، بعد استعادتنا عقولنا وحضارتنا .. إنكما الآن تحت سطح الأرض بعشرة أمتار ، وهذه الممرات مضاءة بالضوء الفسفورى الخاص ، الذى تم تطويره

عام ألفين وثلاثة ، وستجدان هنا عددًا من أجهزة الكمبيوتر الحديثة ، وبعض الأسلحة الليزرية ، والأسلحة الأخرى المتطورة ، و ...

قاطعته (ساندرا) :

ـ وكيف أمكنكم صنع كل هذا بهذه السرعة ؟

ابتسم فى ارتياح ، وأجاب :

ـ إننا لم نصنع شيئًا بعد .. لقد كان هذا أحد مراكز المراقبة السرية ، الذى نجا من أيدى الغزاة ، ونسينا أمره ، مع ضياع عقولنا ، ثم لم يلبث أحدهم أن تذكره ، بعد ضياع تأثير قنبلة (جاما) ، فقررنا أن نجعل منه المقر الجديد للإدارة .

تمتم (كيرك) بنفس البرود :

ـ عظيم .

التفتت إليه (ساندرا) مبتسمة ، فى حين توقف الغليظ أمام أحد الأبواب ، وقال :

ـ لقد وصل الاثنان يا سيدى .

لم يكد يتم عبارته ، حتى برز من باب الحجرة لوح معدنى لامع ، وارتفع صوت آلى يقول :

ـ تحقيق الشخصية .

مد (كيرك) يده فى هدوء ، وألصق راحته باللوح اللامع ، الذى تغير لونه تدريجيًا ، من الأخضر إلى الأحمر ، ثم عاد إلى خضرته فى هدوء ، فرفع (كيرك) راحته ، وأشار إلى

(ساندرا) ، التى ألصقت راحتها باللوح بدورها ، وهى تقول :

ـ لم أكن أتصوَّر أن أرى هذا مرة أخرى .

تبدلت ألوان اللوح ، كما حدث مع (كيرك) ، ثم رفعت (ساندرا) راحتها عن اللوح ، فى نفس اللحظة التى انزاح فيها الباب فى بطء ، وظهرت من خلفه حجرة واسعة ، يجلس فى نهايتها رجل نحيل أصلع ، خلف مكتب ضخم ، يبتسم ابتسامة صفراء ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بكما يا (كيرك) ويا (ساندرا) .. كنت أعلم أننا سنعثر عليكما حتمًا .. هيا .. بسرعة ، فهذا الباب لا يظل مفتوحاً لأكثر من دقيقة واحدة .

عبرا الباب فى هدوء ، فعاد يُغلق خلفهما فى بطء ، فى حين أشار إليهما النحيل بالجلوس ، وهو يمرِّر يده على سطح مكتبه فى نعومة ، قائلًا :

ـ لدى هنا كل المعلومات الخاصة بكما .

أضاء سطح مكتبه فى بطء ، وتحوَّل جزء منه إلى شاشة كمبيوتر ملوَّنة ، حملت صورتيهما ، مع بعض المعلومات ، التى أخذ النحيل يقرؤها بصوت مرتفع ، قائلًا :

ـ أنتما أبرع رجال القسم الخاص فيما مضى .. مصرَّح لكما بالقتل دون تردد ، لمجرد الاشتباه ، وأنتما بطبعكما لا تتورَّعان عن ارتكاب أية أفعال ، من شأنها تأمين النصر لكما ، وأكبر دليل على هذا حادثة مدرسة الأطفال النرويجية .

ثم رفع وجهه إليهما ، وهو يبتسم ابتسامة باردة ، مستطردًا :

ـ أتتذكران هذه الحادثة ؟

هزَّت (ساندرا) كتفيها ، قائلة :

ـ بالطبع .

أما (كيرك) ، فسأله فى برود شديد :

ـ ما المطلوب منا بالضبط ؟

ابتسم النحيل ابتسامة صامتة طويلة ، وهو يتطلَّع إلى وجهيهما ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ هل شاهدتما ذلك البث المصرى ، الذى بدأ هذا الصباح ؟

أجابه (كيرك) فى اقتضاب :

ـ أجل .

أما (ساندرا) ، فقالت :

ـ نعم .. لقد استغلَّ المصريون شبكة البث العالمية ، التى أقامها الغزاة ، والتى تنتشر فى العالم كله ، ويمكنها ترجمة الأحاديث تلقائيًا ، إلى كل لغات العالم ، و ....

قاطعها فى هدوء :

ـ إننى أحفظ تاريخ شبكة البث هذه جيدًا يا عزيزتى (ساندرا) ، وأعلم أن مركز البث الرئيسى لها فى (القاهرة) ، و ..

قاطعته هى هذه المرة :

ـ والمطلوب هو تدميرها تمامًا .

ارتسمت على شفتى (كيرك) ابتسامة ساخرة هذه المرة ، فى حين قال النحيل بابتسامته الباردة السخيفة :

- خطأ يا عزيزتى (ساندرا) .. إننا لانستهدف شبكة البث هذه.
سألته فى دهشة :
- ماذا نستهدف إذن ؟
إتسعت ابتسامة النحيل، والتفت إلى (كيرك)، يسأله :
- ما رأيك أنت ؟
بدا الضيق على وجه (كيرك)، وكأنما لايروق له أن يتحدث طويلاً، وقال فى اقتضاب شديد :
- أظننا نستهدف تلك المكعبات .
ضرب النحيل سطح مكتبه بكفه، وهو يهتف فى حرارة :
- رائع يا عزيزى (كيرك) .. رائع .. كنت واثقاً أنك ستدرك الهدف.
رمقت (ساندرا) (كيرك) بنظرة جانبية، ولاحظت أن ملامحه ظلت جامدة، لاتحمل أية مشاعر، أوحتى زهو برجاحة رأيه، فابتسمت ابتسامة ساخرة، لاتخلو من الغيرة، وهى تقول :
- رائع ياعزيزى (كيرك) .. أنت ذكى بحق .
أما النحيل، فقد اعتدل فى مقعده، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه، وهو يقول :
- هذا هو هدفنا بالفعل.. مكعبات الكمبيوتر.. خلاصة علوم الأرض وفنونها.. هدفنا هو أن نصبح الأقوى أيها السادة .
ثم أطلق زفرة طويلة، من أعماق صدره، وشرد بذهنه لحظات، قبل أن يستطرد :
- منذ زمن ليس بالطويل، وفى أواخر القرن العشرين ..

كانت (أمريكا) هى أقوى دولة فى العالم بلامنازع، بعد أن انهار الخطر الشيوعى، وفشل الاتحاد الأوروبى فى بناء قوة عسكرية كبرى، وأصبحنا الدولة العظمى، التى يخشاها الجميع، ويتقون شرها .. ثم حدث ذلك الغزو الفضائى، وامتلك المصريون ذلك الآلى الرهيب (س-١٨)، وقفزوا فجأة، من موقعهم كدولة من دول العالم الثالث، إلى مصاف الدول الكبرى، ذات السيادة، وكادت تنافسنا فى زعامة العالم، على الرغم من محاولاتنا المستمرة، لإضعافها، والسيطرة على اقتصادها، وتحجيم دورها القيادى فى المنطقة.
صمت لحظة أخرى، ولاحظت (ساندرا) ذلك الضجر، الذى بدأ يكسر قناع الجمود، فوق وجه (كيرك)، قبل أن يستطرد النحيل :
- ومع الغزو، تساوت كل دول العالم، أمام الهزيمة، ولم تعد هناك دول عظمى أوصغرى، ثم بدأت المقاومة فى (مصر)، واتجهت أنظار العالم كله إليها، وبرز ذلك المصرى (نور الدين)، وأصبح رمزاً للأمل والمقاومة، وأصبحت (مصر) بالتالى هى الزعيمة، وهى محط أنظار الجميع .. وبعدها انفجرت قنبلة (جاما)، وضاع كل شىء .
زفر مرة أخرى فى حرارة، وأضاف :
- والآن زال الخطر تماماً .. ذهب الغزاة، وعادت العقول، وبدأ عصر جديد، ستوضع فيه مقاييس أخرى للقوة والزعامة، وستتحدد خلاله الدول العظمى، وتلك التابعة لها .

أجابها فى صرامة :
ـ نعم .. إما أن نحصل نحن عليها ، أو ننسفها نسفًا ..

ثم ذهب شروده بغتة ، والتفت إلى (كيرك) ، و(ساندرا) ، وضرب سطح مكتبه بقبضته ، قائلاً :
ـ ولقد فقد المصريون (س-١٨) ، ولم يعد لديهم سوى تلك المكعبات ، التى ستمنحهم تفوقًا مدهشًا ، على كل دول العالم .
وبرقت عيناه فى شراسة ، مستطردًا :
ـ ونحن نريد هذه المكعبات .. نريدها أمريكية ، أو لا يحصل عليها أى مخلوق قط .
قالت (ساندرا) فى دهشة :
ـ أتقصد تدميرها ؟
أجابها فى صرامة :
ـ نعم .. إما أن نحصل نحن عليها ، أو ننسفها نسفًا .
هتفت مستنكرة .
ـ تنسف كل فنون وعلوم الأرض .
مط شفتيه ، وهز كتفيه ، قائلاً :
ـ وما فائدة العلوم والفنون ، لو لم تكن أمريكية ؟
تراجعت فى حدة ، وانعقد حاجباها فى شدة ، فى حين قال (كيرك) فى هدوء :
ـ نعم .. ما فائدتها ؟
ابتسم النحيل ، وهو يتطلع إليه ، قائلاً :
ـ أحسنت .

ثم استطرد فى حزم، وقد استعاد دوره القيادى :

ـ سيحصل كل منكما على مسدس ليزر، وحزام طيران، وعدد من أحدث أسلحتنا، التى نجت من أيدى الغزاة، وسينقلكما زورق نووى إلى ساحل (الاسكندرية)، ومن هناك ستتسللان إلى (القاهرة)، وستبذلان أقصى جهودكما للحصول على مكعبات الكمبيوتر، أو تقومان بتدمير كل شىء ..

واشتعلت عيناه ببريق شرس، وهو يضيف :

ـ حتى (القاهرة الجديدة) نفسها .. لو اقتضى الأمر .

وسرت ارتجافة فى جسد (ساندرا) ..

* * *

٣ ـ محاولة خداع ..

« أمستعد أنت يا (نور)؟.. »

ألقت (مشيرة) السؤال على (نور) فى اهتمام بالغ، فانتزعته للمرة الثالثة من بحر ذكريات عميق، غاص فيه حتى النخاع ..

كان كل ركن فى قاعة البث يذكره بالغزاة والاحتلال ..

آلاتهم الموجودة فى كل مكان ..

صور بعضهم، التى لم تُنتزع بعد من أماكنها ..

حتى كتابهم، الشبيهة باللغات الأرضية القديمة، والتى ماتزال آلات البث تحملها حتى الآن ..

كل شىء كان يذكره بهم، ويملأ صدره بشعور خانق، حتى انتزعته (مشيرة) من كل هذا بسؤالها، فالتفت إليها شارداً، وسألها :

ـ مستعد لماذا ؟

هتفت فى توتر :

ـ ماذا أصابك يا (نور)؟.. أسألك عن استعدادك لبدء البث .. لقد حان الموعد .

اعتدل (نور)، وتنحنح، وقال :

ـ نعم .. مستعد بالطبع .

أشارت بسبابتها، فبدأت الآلات عملها، واشتعلت الأضواء فى المكان، ورسمت هى بسرعة ابتسامة ناعمة على شفتيها، وقالت:

- سيّداتى آنساتى سادتى .. أخيرًا حانت اللحظة ، التى انتظرتموها طويلًا .. أخيرًا وافق بطل الأرض على الظهور ، وتقديم نفسه للعالم ، الذى أنقذه من الجهل والغزو ، والـ ..

قاطعها (نور) فى هدوء :

- إنك تبالغين كثيرًا يا عزيزتى (مشيرة) .

أحنقتها هذه المقاطعة ، ولكنها حافظت على ابتسامتها الناعمة ، وهى تلتفت إليه ، قائلة :

- يالك من متواضع أيها البطل ! .. ألست من أنقذ الأرض من غزاة (جلوريال) ، ومن أثر قنبلة (جاما) ، و ...

قاطعها مرة أخرى :

- لم أكن وحدى من فعل هذا .. ما من مخلوق واحد ، مهما بلغت قوته ، يمكنه أن يفعل هذا وحده .. لقد شاركنى الجميع عملى ، ففريقى كله ، وعلى رأسه الدكتور (محمد حجازى) ، ساعد فى حرب التحرير ، وصاحب النصر الحقيقى فى هذا هو (س-١٨) ، فلولا قوته الخارقة ، التى ما زالت سرًا غامضًا ، بلا حدود أو مقاييس ، لما وافق الغزاة على الانسحاب من الأرض ، ولولا تضحية (نشوى) ، لفشلت لعبة (س-١٨) ، ولولا الثورة التى اجتاحت العالم كله ، لما شعر الغزاة بالخطر .. وأخيرًا يبقى أهم عامل فى الكون كله .. إنه توفيق الله (سبحانه وتعالى) ، ومؤازرته لنا ، فى حربنا العادلة ، ولولا هذا التوفيق ما نجحت خطوة واحدة لنا ، حتى ولو كانت هذه الخطوة هى طرفة عين واحدة .

ارتسم الخشوع على وجهه ، وهو يلقى عبارته الأخيرة ، وامتلأت نفوس المشاهدين ، على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم برهبة كبيرة ، حتى ليمكن أن يقال إن موجة من الصمت قد شملت العالم أجمع ، عندما ذكر اسم الله (سبحانه وتعالى) ، حتى تمتمت (مشيرة) فى خفوت ، وكأنها تخشى تبديد هذا الصمت المقدس :

- ولكنك أنقذت العالم من آثار قنبلة (جاما) .

هزّ رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

- هذا شرف لا أدعيه يا (مشيرة) ، فالفضل فى هذا أيضًا يعود إلى الله (سبحانه وتعالى) ، وإلى رحمته الواسعة ، التى أبقت على حياة الدكتور (رشاد خيرى) ، وعلى علمه الغزير ، فى مجال الأشعة وتأثيراتها ، ليساعد فى تخليص العالم من الآثار المدمّرة لقنبلة (جاما) ، ولقد ضحّى (س-١٨) بنفسه ، وفجّر طاقاته كلها ، ليعيد إلى العالم عقله وحضارته .

كانت (مشيرة) تشعر بالغضب ؛ لأن (نور) يفسد برنامجها ، بإصراره على أنه لم يفعل شيئًا ، مما يضيع تأثير قنبلتها الصحفية ، فقالت فى حدة :

- لا يمكنك أن تطلق على ما فعله ذلك الآلى اسم (تضحية) ، فهو ، مهما بلغت قدراته ، مجرّد آلة ، ليس عليها سوى طاعة سيّدها .

قال (نور) فى هدوء :

- ولكنه كان يعلم أن ما يفعله سيستنفد طاقته كلها ، و ..

قاطعته هى هذه المرة :

- ولكنه لا يملك ـ على الرغم من هذا ـ سوى الطاعة .

بدت رنة حزن فى صوته ، وهو يقول :

- حقًا ؟!.. ولكن تضحيته هذه كانت سببًا فى بقائك على قيد الحياة ..

هتفت مستنكرة :

- أنا ؟!

كانت تشتبك معه فى مشادة كلامية طويلة ، لولا أن أشار إليها المخرج فى حدة ، فانتبهت إلى أنها قد تجاوزت الحد المقبول ، فاستعادت ابتسامتها فى سرعة مدهشة ، وهى تعدل من تصفيفة شعرها ، قائلة :

- إنه ليس موضوعنا ، على أية حال ، وسأوافق على تواضعك أيها الرائد (نور) ، وعلى إصرارك بأنك لم تنقذ العالم فى المرتين ، ولكننى سأذكرك بأنك تمتلك الفرصة لإنقاذ العالم مرة ثالثة ، فأنت الوحيد ، الذى يمتلك مكعبات الكمبيوتر ، التى بإمكانها إنقاذ العالم من ضياع فنونه وعلومه .

صمت (نور) لحظات ، وتركزت على وجهه آلات التصوير الهلوجرافى ، وملأت صورته شاشات البث ، فى العالم أجمع ، قبل أن يجيب فى هدوء عجيب :

- أعترف أننى أمتلك هذه المكعبات ، ولكن لن يمضى وقت

طويل ، حتى يحصل عليها العالم أجمع ، فنحن نقوم الآن بصنع عدة نسخ منها ، فالعلوم والفنون من حق الجميع ، بلا استثناء .

سألته فى اهتمام :

- وأين تحتفظ بتلك المكعبات ؟.. أعنى أين يتم نسخها ؟

أجاب بابتسامة هادئة للغاية :

- فى مقرنا السرى القديم ، داخل خزانة من الطراز القديم .

سألته فى دهشة :

- بلا حراسة ؟!

أجاب فى هدوء :

- ولماذا الحراسة ؟.. لقد صنعنا منها عشرات النسخ حتى الآن ، وهى ـ كما سبق أن أخبرتك ـ من حق الجميع .

ابتسمت (ساندرا) ، وهى تسمع هذه العبارة الأخيرة ، عبر جهاز استقبال هولوجرافى خاص ، فى ذلك الزورق النووى ، الذى ينطلق بها مع (كيرك) ، عبر المحيط الأطلنطى ، فى طريقه إلى (الإسكندرية) ، وقالت لذلك الأخير فى سخرية :

- أتصدق هذا ؟

أجابها (كيرك) فى برود :

- ولا حرفًا واحدًا منه .

اعتدلت تسأله فى اهتمام :

- لماذا يلقى ذلك الرائد مثل هذا التصريح إذن ؟

صمت طويلًا ، وكأنما لا يعتـزم الجـواب ، ثم قال فى اقتضاب :

ـ محاولة خداع .

سألته فى لهفة :

ـ لماذا ؟

أجابها فى ضجر :

ـ لمنع كل المحاولات الشبيهة بمحاولتنا ، لسرقة تلك المكعبات ، ولإقناع كل الدول بأنه لم يعد هناك طائل وراء هذا .

ابتسمت وهى تسأله :

ـ كيف تكون واثقًا إلى هذا الحد ؟

هزّ كتفيه فى صمت ، وبقى لحظات يتطلع إلى الشمس الغاربة فى الأفق ، ثم أجاب دون أن ينظر إليها :

ـ نسخ مكعبات الكمبيوتر لا يستغـرق سوى ساعـات معدودة ، ولو أن هذا المصرى ينوى نشر محتواها عالميًا ، لفعل على الفور ، والتحليل النفسى لشخصيته يقول : إنه من تلك الطراز ، الذى يمكنه نشر محتوى المكعبات بالفعل ، وهذا يعنى أنه لم يستطع نسخها بعد ، وإلا فعل .. أفهمت الآن ؟

أطلقت ضحكة عابثة ، وقالت :

ـ رائع .. أخيرًا أمكننى إقناعك بالتحدث لدقيقة كاملة .. ما أبرعنى .

رمقها بنظرة صارمة ، ثم تطلع إلى ساعته ، قائلًا :

ـ بهذه السرعة ، التى ينطلق بها الزورق ، سنبلغ مضيق جبل (طارق) بعد ساعة واحدة ، وسنعبره إلى البحر الأبيض المتوسط ، وبعد نصف ساعة أخرى ، سنبلـغ شاطـئ (الإسكندرية) ، وتبدأ المهمة .

ورفع عينيه مرة أخرى إلى الأفق ، مستطردًا :

ـ وسننسف هذا الـ ... الـ (نور) .

وابتسمت (ساندرا) فى جذل ..

* * *

استقبلت (نشوى) والدها بابتسامة مرحة واسعة ، وهى تهتف :

ـ رائع يا أبى .. لقد كنت رائعًا .

ابتسم (نور) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ المهم أن تفلح الخطة .

لوّحت (سلوى) بسبابتها ، قائلة :

ـ آه من (مشيرة) هذه .. لو لم تذكر أمر المكعبات ، لما ...

قاطعها (نور) فى حزم :

ـ ما حدث قد حدث يا (سلوى) .. إننى أكره سماع كلمة (لو) هذه .

قالت فى ضيق :

ـ حسنًا يا (نور) ، ولكن هل يمكنك أن تخبرنى ، كيف يمكننا حماية تلك المكعبات بالفعل ، ونحن نفتقر إلى وسائل

الأمن الكافية ؟.. أنت تعلم أن كل وسائل المراقبة والأمان ، التى كنا نحتفظ بها فى مقرنا السرى ، قد انتقلت إلى القصر الجمهورى الجديد ، وإدارة المخابرات العلمية ، التى يتم تشييدها وإعدادها ، ولم نعد نحن سوى أفراد عاديين ، لا نملك سوى مسدس ليزرى واحد ، لا يكفى حتى لحمايتنا .

ارتفع صوت مرح ، يقول :

ـ وماذا عن ؟

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، وهتف (رمزى) :

ـ (أكرم) .. يا إلهى !.. لولا صوتك ما عرفتك .

تقدم (أكرم) يصافحهم فى حرارة ، وكان قد حلق لحيته ، وارتدى حلة أنيقة ، جعلت (نشوى) تهتف :

ـ يا إلهى !.. إنك تبدو شديد الوسامة !

ابتسم (أكرم) فى مرح ، وقال :

ـ لا تسرفى فى مدحى يا عزيزتى ، وإلا شعر صديقنا (رمزى) بالغيرة .

أطلقت ضحكة عذبة ، فى حين ابتسم (رمزى) ابتسامة رصينة ، وهو يقول :

ـ تراودنى أحيانًا رغبة عارمة ، فى أن ألكمك فى أنفك مباشرة يا (أكرم) .

تراجع (أكرم) بحركة مرحة ، وهو يقول :

ـ وتفسد وسامتى ؟!.. ألم أقل إنك تشعر بالغيرة ؟

ضحك (محمود) ، وهو يقول :

ـ يبدو أنك لن تتغير أبدًا يا (أكرم) .

أشار (أكرم) إشارة عامة بيده ، وقال فى جدية :

ـ هذا صحيح يا عزيزى (محمود) ، فالخطر لم يزل يحيط بكم ، فلماذا أتغير ؟.. لقد شاهدت ذلك البرنامج ، الذى بدأت به (مشيرة) برنامج البث ، وشعرت مثل العديد من المشاهدين ، أن (نور) يحاول خداعنا جميعًا ، وأن تلك المكعبات ، التى تحدث عنها ، هى أعظم كنوز العالم ، فى هذا العصر الجديد .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ اطمئن .. ستبقى المكعبات فى أمان ، حتى يتم نسخها .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ وما حدود هذا الأمان أيها الرائد .. هل أحطتها بغلاف من الطاقة ، أم حاصرتها بمدافع الليزر ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ إنها فى أمان وحسب .

هتف (أكرم) :

ـ ومن يمكنه الجزم بهذا ؟

نهض (محمود) فى هذه اللحظة ، وقال :

ـ مهلاً أيها السادة .. لقد قضيت يومًا شاقًا حافلاً ، ولست مستعدًا لإرهاق نفسى فى مناقشة حادة كهذه .

سألته (سلوى) :

- هل ستذهب إلى بيتك الجديد ؟

أجاب فى رصانة كعادته :

- مباشرة .. لايمكنك أن تتصورى مدى سعادتى به .. لقد حصلت أخيرًا على مسكن مستقل، ومعمل خاص .. وسيارة .. صحيح أنها ليست سيارة صاروخية، كسيارات ماقبل الاحتلال، ولكنها تؤمن لى حرية الحركة على الأقل .

لوّح له (نور) بيده، وهو يقول :

- لابأس يا (محمود) .. طاب مساؤك .. أتمنى لك نومًا هنيئاً، ولكن حاول أن تكون هنا فى التاسعة، فما زال أمامنا عمل طويل .

تنهّد (محمود)، وقال :

- أعلم هذا .

قالها وأسرع يغادر المكان، قبل أن يختتم النقاش مرة أخرى، بين (نور) و(أكرم)، واتجه إلى سيارته، وهو يهزّ رأسه، قائلًا :

- عجيب (أكرم) هذا .. إنه مقاتل رائع، ولكنه يختلف تمام الاختلاف عن (نور) .. لست أظنهما يتفقان أبدًا .

ضغط زرًا فى سيارته، فانفتح بابها فى بطء، وقفز هو خلف عجلة القيادة، وهو يستطرد :

- لو توقّف (أكرم) عن عصبيته هذه، فربما .

بتر عبارته، وانتفض جسده بغتة؛ عندما سمع من خلفه صوت أنثوى ساخر يقول بالانجليزية :

- المهندس (محمود) .. خبير الأشعة العالمى !.. لا ريب أننى محظوظة للغاية، لألتقى بأحد أبطال التحرير .

التفت إلى المقعد الخلفى فى هلع، وتطلّع إلى وجه (ساندرا) لحظة، وشعر أن ابتسامتها هذه تبعث فى نفسه خوفًا شديدًا، وهو يسألها فى اضطراب :

- سيّدتى ؟! .. ماذا تفعلين فى سيارتى ؟

أجابته بابتسامتها الساخرة :

- أتيت للحصول على توقيعك .

ارتبك وهو يقول :

- ليس هذا هو الوقت المناسب، ثم إننى لاأملك قلمًا هنا .

هزّت كتفيها، وهى تقول :

- لاداعى .. سأكتفى به ..

وارتفع مسدسها الليزرى فجأة فى وجهه، وتغيّرت لهجتها إلى الشراسة والمباغتة، وهى تستطرد :

- بدمك .

وارتجف (محمود) ..

• • •

وارتفع مسدسها الليزرى فجأة فى وجهه،وتغيرت لهجتها إلى الشراسة والمباغتة ..

٤ ـ وبدأت اللعبة ..

لوّحت (مشيرة محفوظ) بذراعها فى غضب ، وهى تقول لمخرج اللقاء :

ـ لقد أفسد (نور) قنبلتى الصحفية .. لماذا يصرّ على إنكار أية صلة له بإنقاذ الأرض ؟! .. كم أكره أسلوبه هذا .. لماذا هذا التواضع السخيف ؟

ابتسم المخرج ، وقال :

ـ إنها طبيعة (نور) ، وأنت خير من يدرك هذا .

استدرك فى سرعة ، قبل أن تبادره بثورتها :

ـ ثم إنه فجّر قنبلة جديدة .

سألته فى عصبية :

ـ أية قنبلة ؟

أجابها فى ضيق :

ـ ألم يعلن أنه قد تم نسخ مكعبات الكمبيوتر ، و ...

قاطعته مستنكرة :

ـ وهل تصدّق هذا ؟

فتح المخرج شفتيه ، ليقول شيئًا ما ، لولا أن جاء صوت (كيرك) ، من باب الحجرة ، وهو يقول فى برود ، وبلغة عربية ركيكة :

ـ ولا حرفًا واحدًا منه .

التفت إليه المخرج و (مشيرة) فى دهشة ، وهتف المخرج فى حنق :

- من أنت ، وكيف وصلت إلى هنا ؟

أجابه (كيرك) ببروده المثير :

- اسمى (كيرك) ، وأنا أمريكى الجنسية ، ولقد دخلت من الباب الخلفى .

صاح المخرج :

- كان من المفروض أن يمنعك حارس الأمن من الدخول ، دون تصريح خاص .

تجاهله (كيرك) تمامًا ، وهو يشير إلى ما حوله ، قائلاً :

- إذن فهذه هى محطة البث ، التى أقامها الغزاة ..

صاح به المخرج ، وقد أحنقه هذا التجاهل :

- سأطالب حارس الأمن بطردك ، وسأعاقبه على سماحه لك بالدخول .

أطلت نظرة كالجليد من عين (كيرك) ، وهو يقول فى بطء :

- أراهن أنه لن يمكنك معاقبة الحارس .

بدا القلق على وجه (مشيرة) ، وهى تتطلع إليه ، فى حين قال المخرج فى عصبية :

- أراهنك أنا أننى أستطيع معاقبته، بل طرده أيضًا .

أجاب (كيرك) .

- تخسر الرهان إذن ، فالطريقة التى تخلصت بها من الحارس ، تمنع أى شخص من معاقبته بعد الآن .

اتسعت عينا (مشيرة) فى رعب ، وتراجعت فى حركة حادة ، فى حين هتف المخرج فى دهشة بالغة :

- الطريقة التى تخلصت بها منه .. ماذا تعنى ؟

أجاب (كيرك) فى برود :

- أعنى أننى قتلته .

أطلقت (مشيرة) صرخة فزع مكتومة ، فى حين ارتجف صوت المخرج ، وهو يقول :

- قتلته ؟! .. كيف ؟

أخرج (كيرك) مسدسه بحركة حادة ، وهو يقول :

- هكذا ؟

انطلق من مسدسه الليزرى خيط من الأشعة ، اخترق جبهة المخرج ، من منتصفها تمامًا ، والتصقت (مشيرة) بالحائط ، وهى تطلق صرخات قصيرة متتالية ، فى حين ترنح المخرج لحظة ، ثم سقط جثة هامدة ، فأدار (كيرك) فوهة مسدسه إلى (مشيرة) ، وقال ببروده العجيب :

- صوت آخر يصدر منك ، وتلحقين به على الفور .

احتبست الصرخات فى حلقها ، واتسعت عيناها فى رعب شديد ، واتجه هو إليها فى بطء ، متجاوزًا جثة المخرج ، وألصق فوهة مسدسه بعنقها ، فانهمرت دموعها فى رعب، وهى تقول:

- من أنت ؟ .. كيف أمكنك الحصول على مسدس ليزرى ؟

أجابها فى لهجة جافة :

- قلت إننى أمريكى .

ثم جذب شعرها فى قسوة ، مستطردًا :

- وسترين فى الساعات القادمة ، كيف يعمل الأمريكيون ، ولماذا يستحقون عن جدارة لقب (السادة) .

وبرقت عيناه لحظة ، وهو يستطرد :

- سادة العالم ..

* * *

زفرت (سلوى) فى ضيق وضجر ، عندما استغرقت مناقشة (أكرم) و (نور) وقتًا أطول مما ينبغى ، وقالت :

- لافائدة يا (أكرم) .. لن تجدى مناقشتك مع (نور) قط ، فأنتما أشبه بمسافرين ، أحدهما يتجه إلى الشرق باستمرار ، والآخر إلى الغرب ، فلا يمكنهما أن يلتقيا أبدًا .

التفت إليها (أكرم) ، وقال :

- بل يمكنهما هذا ، لو دار كل منهما حول نصف الكرة الأرضية ، فسيلتقيان فى النصف الآخر .

ابتسمت (نشوى) ، وقالت :

- أنت على حق .

وضحك (رمزى) ، وهو يقول :

- وماذا لو كانت رحلتهما إلى جانبى الزمن .

هزّ (أكرم) كتفيه ، وقال .

- ربما يلتقيان أيضًا ، من يدرى ؟

أطلقت (نشوى) ضحكة مرحة أخرى ، وقالت :

- أنت على حق هذه المرة أيضًا يا سيّد (أكرم) .

غمز (أكرم) بعينه لها ، وقال :

- إننى على حق دائمًا يا صغيرتى .

قال (نور) فى هدوء :

- لايمكنك أن تكون على حق، لو أنك تجهل العديد من الحقائق .

التفت إليه (أكرم) ، وقال :

- إذن فأنت تخفى عنا بعض الأمور .

أجابه (نور) :

- بالتأكيد ، فهذا عملى .

مطّ (أكرم) شفتيه ، وقال :

- فى هذه الحالة لاجدوى من هذا النقاش .. أليس كذلك ؟

أجابه (نور) بابتسامة وتود :

- بلى .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يبتسم (أكرم) ، ويقول :

- كان ينبغى أن أدرك هذا .

ثم أشار إلى باب المقر السرى ، مستطردًا فى حدة :

- ولكن ماذا لو فوجئت بمن يقتحم هذا المكان ، ويطالبك بتسليم المكعبات الكمبيوترية ، أو ...

قاطعه صوت (كيرك) البارد ، وهو يقول بعربيته الركيكة :

- نعم .. ماذا لو حدث هذا ؟

التفت الجميع إلى مصدر الصوت بحركة حادة ، وطالعهم (كيرك) بوجهه الطويل ، وملامحه الباردة الجامدة ، وهو يصوّب إليهم مسدسًا ليزريًا ، ويستطرد في شيء من السخرية :

- إنني أشتعل فضولاً ، لمعرفة ما سيحدث حينذاك .

لم يكد يتم عبارته ، حتى تحرّك (أكرم) جانبًا ، وهو يهتف بغتة :

- إنه لك يا (نور) .

وبسرعة مذهلة ، سحب (نور) مسدسه الليزري من غمده، وصوّبه إلى مسدس (كيرك) ، وأطلقه ..

ولم يجد (كيرك) فرصة حتى للدهشة ..

لقد أصاب شعاع مسدس (نور) مسدسه هو ، في سرعة خرافية ، وحطّم خزّان طاقته بانفجار صغير ، أجبر (كيرك) على إلقاء مسدسه ، وهو يهتف بالأمريكية :

- يا للشيطان !

وبقفزة أنيقة ، بلغ (أكرم) موضع (كيرك) ، وهو يقول :

- الباقي لي يا (نور) .

هوت قبضته بكل قوتها على فك (كيرك) ، ولكن هذا الأخير مال جانبًا في رشاقة ، وتراجع في سرعة ، ثم ارتفعت قبضته تركل وجه (أكرم) ، وهو يقول بالعربية الركيكة .

- ليس في كل مرة يا صاح .

تلقى (أكرم) الضربة على ساعده ، ودار حول نفسه في سرعة ، ثم باغت (كيرك) بلكمة كالقنبلة في معدته ، قائلاً :

- لكن .. سنجعلها مرة ومرة .

كانت الضربة عنيفة بالفعل ، ولكن معدة (كيرك) القوية احتملتها ، وتراجع الرجل خطوة ، ثم لكم (أكرم) في فكه ، هاتفًا :

- نعم .. مرة لي ، وأخرى لك .

اندفع (رمزي) فجأة ، وهاجم (كيرك) من الخلف ، وطوّق ذراعيه ، قائلاً في صرامة :

- كفى .

والعجيب أن (كيرك) لم يقاومه هذه المرة ، بل استسلم لهذه الحركة تمامًا ، وهو يقول في برود :

- فليكن .. سنوقف القتال .

اعتدل (أكرم) ، وهو يمسح خيطًا من الدم ، سال من طرف شفتيه ، وقال في حنق :

- من حسن حظك .

رمقه (كيرك) بنظرة ساخرة ، وأجاب :

- أو من حسن حظك أنت، فأنا الفائز في كل الأحوال .

لوّح (أكرم) بقبضته ،وقال :

- هل نعيد الكرّة ؟

صاح (نور) فى صرامة :

ـ كفى .

ثم توجّه إلى (كيرك) ، الذى أطلق (رمزى) سراحه ، وسأله فى حدة :

ـ من أنت يا رجل ؟. من أى الدول جئت ؟ وما الذى تريده منا بالضبط ؟

أجاب (كيرك) فى هدوء :

ـ اسمى (كيرك)، وأنا أمريكى، ولقد أتيت للحصول على المكعبات الكمبيوترية .

قالت (سلوى) فى دهشة :

ـ بهذه البساطة ؟

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ ولماذا تعقّد الأمور .. إننى أريد المكعبات التى لديكم ، وأنتم تريدون مالدى .. أقصد من لدى .

انعقد حاجبا (نور)، وسرت موجة من القلق فى نفوس الآخرين ، و (رمزى) يسأل (كيرك) فى انفعال :

ـ ماذا تعنى ؟

أدار (كيرك) عينيه فى وجوههم فى برود ، وقال :

ـ معذرة .. نسيت أن أخبركم أننا ـأنا وزميلتىـ نحتفظ برفيقيكما (محمود) و (مشيرة) .

صاحت (نشوى) :

ـ يا إلهى !

واتسعت عينا (سلوى) فى ذعر ، وهى تمنع شهقة ، أرادت الانطلاق من حلقها ، بكفها ، فى حين قال (نور) :

ـ يا للحقارة !

لوّح (كيرك) بكفه ، وقال :

ـ إنها حرب يا رجل .. حرب السيادة، فى العالم الجديد .. وفى الحروب لامعنى لكلمة حقارة هذه ، فالواجب يقتضى منك بذل أية جهود ، وإتباع أية وسيلة ، لو أنها تؤمن لك النصر .

قال (نور) فى ازدراء :

ـ هل تظن هذا ؟

هزّ (كيرك) كتفيه ، وقال :

ـ بالتأكيد .

اندفع (أكرم) نحوه بغتة ، وجذبه من قميصه فى عنف ، وهو يقول :

ـ إسمع أيها الوغد .. ستعيد (مشيرة) ، وإلا حطّمت كل عظمة فى جسدك .

ابتسم (كيرك) فى سخرية ، وقال :

ـ وماذا عن (محمود) ؟.. هل أحتفظ به ؟

صاح (أكرم) فى غضب :

ـ سأقتلك ، لو لم تعد (مشيرة) .

تطلّع (كيرك) إلى عينيه مباشرة ، وقال فى تحد :

اندفع (أكرم) نحوه بغتة، وجذبه من قميصه في عنف، وهو يقول:
ـ إسمع أيها الوغد .. ستعيد (مشيرة) ..

ـ بل زميلتى هى التى ستقتل رفيقكما، لو لم يرق لها ما يحدث هنا .

وأزاح قبضتى (أكرم) عن قميصه، وهو يستطرد :

ـ ساعتى هذه عبارة عن راصد هولوجرافى شديد التطوُّر، وهو أحدث ما أنتجته بلادى، قبيل الغزو مباشرة، وبوساطته تسمع زميلتى وترى كل ما يحدث هنا، وهى تجلس فى مخبأ خاص، يبعد كثيرًا عن هذا المكان، ولو توقَّف البث لأى سبب، أو حاول أحدكم إيذائى، أو اعتراض مهمتى، بأية وسيلة كانت، سيغضبها هذا كثيرًا، ويدفعها إلى الضغط على زر صغير، تتفجر معه قنبلة ذرية لطيفة، تذهب بـ (مشيرة) و (محمود)، وربما بالمنطقة كلها .

ران مزيج من الصمت والقلق على المكان، بعد قوله هذا، وراح الجميع يتبادلون نظرات، هى مزيج من التوتر والقلق والشك، قبل أن يقول (نور) :

ـ ماذا تريد يا مستر (كيرك) ؟

أجابه (كيرك) فى صرامة :

ـ المكعبات .. مكعبات الكمبيوتر .

تبادلا نظرة باردة طويلة، قبل أن يقول (نور) :

ـ هذه المكعبات ليست من حقك، أو حق دولتك وحدها .. إنها ..

قاطعه (كيرك) فى صرامة :

- إنني أكره المحاضرات الفلسفية طيلة عمري ، وأريد جوابًا مباشرًا الآن .. هل تفضلون المكعبات ، أم رفيقيكما ؟

قال (نور) في صرامة مماثلة :

- أتظنني أمنح دولتك السيادة ، مقابل اثنين من رفاقي ؟

قال (كيرك) في برود :

- بل مقابل عاصمتكم أيضًا أيها الرائد .. مقابل (القاهرة الجديدة) .. نسيت أن أخبرك أن زميلتي لاتتميَّز بفضيلة الصبر .. إنها على العكس ، تفتقر إليها كثيرًا ، ولقد قرَّرت أنه مالم يتم حل المشكلة برمتها ، قبل ثلاث ساعات فحسب ، فإنها ستفجِّر القنبلة الذرية ، وتمحو (القاهرة الجديدة) من الوجود .

في هذه المرة لم يكن الصمت مشوبًا بالقلق والتوتر والشك فحسب ، بل كان هناك ما هو أكبر وأضخم ..

إنه الخوف ..

الخوف الرهيب ..

* * *

امتلأت نفس (مشيرة) بمزيج من التوتر والخوف ، وهي تحاول جاهدة التخلُّص من تلك الهالة الخضراء ، التي تحيط بمعصميها ، وتكبلهما تمامًا ، ولكن (محمود) أطلق زفرة حارة ، وهو يرفع معصميه المكبلين بهالة مثيلة ، قائلًا :

- لاتحاولي .. إنها قيود من الطاقة .. أحدث نوع من الأغلال ، عرفه العالم قبل الاحتلال .

ابتسمت (ساندرا) ، وقالت في سخرية :

- عظيم .. من الواضح أنك تتمتَّع بذكاء لابأس به .

قالت (مشيرة) في حنق :

- وأنت تتمتعين بحقارة لامثيل لها .

أطلقت (ساندرا) ضحكة ساخرة ، وقالت :

- في مجالنا يطلقون عليها اسم مهارة .

ثم لوَّحت بكفها ، مستطردة :

- والآن انشغلا بقيودكما ، واتركاني أواصل عملي .

تطلَّعت (مشيرة) في توتر ، إلى ذلك الجهاز ، الذي انهمكت (ساندرا) في العمل به ، وسألت (محمود) :

- ما الذي تصنعه هذه الحقيرة ؟

أجابها بحروف ترتجف :

- قنبلة .. قنبلة ذرية .

اتسعت عينا (مشيرة) في رعب ، وهي تهتف :

- قنبلة ذرية ؟!

التفتت إليها (ساندرا) ، وابتسمت في سخرية مرة أخرى ، وقالت بلغتها العربية المتعثرة :

- نعم يا عزيزتي .. قنبلة ذرية .. قنبلة ستنسف عاصمتكم (القاهرة الجديدة) تمامًا ، لو لم نحصل على المكعبات الكمبيوترية ، خلال ثلاث ساعات .

هتفت (مشيرة) :

– إنه تفكير جنونى .
ابتسمت (ساندرا) ، وهزّت كتفيها ، قائلة :
– ولكنه يروق لى .
ثم عادت تواصل عملها ، مستطردة :
– إننا سنحصل على هذه المكعبات .. شئتم أم أبيتم .. ونحن نعلم أن قائدكم (نور) هذا رجل متعنت ، سيرفض حتمًا تسليمنا تلك المكعبات ، حتى لو هددناه بقتل رفاقه كلهم ، أو بقتله هو نفسه ؛ لذا فنحن لم نكتف بخطفكما فحسب ، وإنما عملنا أيضًا على نقل معدات هذه القنبلة اللطيفة إلى هنا ، لنضع تهديدًا جديدًا ، وخط قتال ثانيًا يقنعه بالتخلى عن عناده .
صرخت (مشيرة) :
– أنت حقيرة .. أحقر من رأيت فى حياتى كلها .
قهقهت (ساندرا) ضاحكة ، وهى تقول :
لا تسرفى فى مدحى يا عزيزتى .. هذا يزيدنى غرورًا .
وتراجعت تتطلع إلى القنبلة فى زهو ، قبل أن تشير إلى زر أحمر صغير ، قائلة :
– هل تريان هذا الزر الجميل ؟.. ضغطة واحدة عليه ، وتنفجر قنبلتنا على الفور ، وتنمحى (القاهرة الجديدة) من خريطة العالم .
قال (محمود) فى حدة :
– وتنمحين أنت أيضًا من قائمة الأحياء .

أطلقت (ساندرا) ضحكة عابثة ، وقالت :
– اطمئن يا عزيزى .. هذا الزر الأحمر للطوارئ فحسب .. عندما يدفع الغرور صاحبكم (نور) هذا ، إلى محاولة إلقاء القبض علينا ، وتخليصكم بالقوة .. عندئذ سأفضّل الموت ، على الاستسلام له ، وسيروق لى أن أصحبه هو وعاصمتكم معى .
قالتها وأطلقت ضحكة جذلة عالية ، وكأنها ألقت مزحة طريفة ، ثم تابعت :
– أما فى الحالات العادية ، فسأضغط الزر الأزرق ، المجاور للأحمر ، وهذا يمنحنى أربع دقائق ، قبل انفجار القنبلة .
قال (محمود) فى قلق :
– الحالات العادية ؟!.. ما الذى تقصدينه بالحالات العادية ؟
ابتسمت ، وقالت :
– أقصد عندما نحصل على المكعبات .. عندئذ لن يكون من الحكمة أن نترك خلفنا أى دليل .
واتسعت ابتسامتها فى جذل ، مستطردة :
– ولا أن نترك لكم عاصمة .. أليس كذلك ؟
وقهقهت ضاحكة مرة أخرى .

* * *

٥ ـ الحقيبة ..

مضت لحظات من الصمت ، بعد أن نطق (كيرك) عبارته الأخيرة ، ثم قطع (أكرم) هذا الصمت ، وهو يقول فى غضب :

ـ أنت مجنون .

ـ مط (كيرك) شفتيه ، وهز كتفيه ، قائلاً :

ـ ربما .. ولكن حتى جنونى لايلغى ما قلت منذ لحظات .

سأله (نور) فى صرامة :

ـ هل تقايض بعاصمتنا ، مقابل كل الفنون والعلوم ؟

أومأ (كيرك) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .

ثم اعتدل بحركة حادة ، مستطردًا فى حزم :

ـ وأريد جوابًا فوريًا ومباشرًا .

ران الصمت مرة أخرى على المكان ، وتبادل (نور) نظرة طويلة مع (رمزى) ، قرأ خلالها (رمزى) ، فى عينى (نور) سؤالاً صامتًا ، وأجاب عليه فى توتر :

ـ نعم يا (نور) .. إنه يعنى ما يقول .

انتقل التوتر إلى ملامح (نور) ، وبدا الذعر على وجه (سلوى) ، فى حين اقتربت (نشوى) بغتة من (كيرك) ، وأمسكت ياقة قميصه ، قائلة فى حدة :

ـ أتعلم أنك أحقر شخص قابلته فى حياتى ؟

دفع (كيرك) يدها عن ياقة قميصه فى قسوة ، وهو يقول :

ـ حذار أن تفعلى هذا مرة أخرى .

شهقت (سلوى) ، وتحرك (رمزى) فى حدة ، هاتفًا :

ـ إياك أن تمس شعرة منها أيها الحقير .

أما (نور) فقد ظل هادئًا ، يراقب ما يحدث فى اهتمام بالغ ، فى حين بدت ابتسامة باهتة على شفتى (نشوى) ، وهى تقول :

ـ أتظن نفسك ذكيًا ؟

أجابها (كيرك) فى صرامة .

ـ لا .. أظننى عبيذًا فحسب .

قالت فى سخرية :

ـ بل أنت غبى .

ارتسم الغضب على وجهه لجزء من الثانية ، ثم لم يلبث أن استعاد ملامحه الباردة ، وهو يلتفت إلى (نور) ، قائلاً :

ـ أين المكعبات ؟

فوجئ الجميع بـ (نور) يجيبه فى هدوء :

ـ هنا .. فى هذه الخزانة .

ألقى (كيرك) نظرة سريعة على الخزانة الفولاذية ، ذات الشكل التقليدى ، وقال فى سخرية :

ـ أتظننى ساذجًا إلى هذا الحد ، لأصدق أنك تحتفظ بمكعبات

لها مثل هذه الخطورة ، فى خزانة بسيطة كهذه ؟.. إنها حتى غير مزودة برتاج أليكترونى .

هزّ (نور) كتفيه ، وقال فى هدوء :

ـ ولكننا لانملك سواها، ولقد قلت هذا فى المقابلة الصحفية ، و ..

قاطعه (كيرك) فى حدة :

ـ قلته للسذج والبلهاء .. أتظن مخلوقًا عاقلاً واحدًا سيصدّق ما قلت ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ مطلقًا .. ولهذا قلته .. ولهذا أيضًا احتفظت بالمكعبات هنا ، فهذه الخزانة العادية ستصبح أكثر أماكن العالم أمنًا ، للحفاظ عليها ، عندما لا يصدّق مخلوق واحد أنها داخلها .

رمقه (كيرك) بنظرة شك طويلة ، ثم قال :

ـ يا لك من داهية !

ثم استدرك فى صرامة :

ـ افتح الخزانة إذن ، وأعطنى المكعبات .

اتجه (نور) إلى الخزانة فى بساطة ، وفتحها فى هدوء ، أمام أعين الجميع ، ووسط دهشتهم ، والتقط من داخلها حقيبة صغيرة مربعة ، مد يده بها إلى (كيرك) ، الذى تطلّع إليها فى حذر ، وهويقول :

ـ أهذه هى ؟

أجابه (نور) :

ـ نعم .. إنها هى .. هذه الحقيبة تحوى عددًا من مكعبات الكمبيوتر ، يحوى كل مكعب منها عددًا من اسطوانات ميكروكمبيوتر فائقة الحساسية ، تحوى كل تاريخ العالم وفنونه وحضاراته وعلومه ، وحتى النُوت الموسيقية لأعظم عباقرة التاريخ ، والتصميمات الكاملة لكل المخترعات والمكتشفات .. إنها الطريق إلى عودة الأرض لحضارتها .

اختطف منه (كيرك) الحقيبة فى لهفة ، وهو يقول :

ـ بل تقصد حضارة (أمريكا) .

ثم تراجع وعيناه تبرقان فى ظفر هائل ، وقال :

ـ والآن سنفترق أيها السادة .. لن أخبركم أن هذا سيحزننى ؛ لأنه لن يحدث .. وأحب أن أنبهكم أنه ما من جدوى من مطاردتى ، أو محاولة تعقبى ، لأننى لن أرحل بالوسائل الطبيعية .

ثم أشار إلى حزامه ، مضيفاً :

ـ سأرحل بوساطة هذا .

وبضغطة على زر صغير فى حزامه ، تحرّكت على جانبى الحزام اسطوانتان صغيرتان ، اتخذتا وضعًا رأسيًا ، ثم انطلق منهما لسان من اللهب ، لم يلبث أن تحوّل إلى ما يشبه محرّكًا نفاثًا صغيرًا ، رفع جسد (كيرك) عن الأرض ، وهو يقول فى ظفر :

ـ الوداع أيها السادة .

ثم انطلق طائرًا ، بوساطة حزام الطيران ذى النفاثات ، وهتف (أكرم) فى انفعال :

- تلك الوغد .. لقد رحل ، قبل أن نتفاوض معه ، لاستعادة (مشيرة) و (محمود) .

أجابه (نور) ، وهو يتحرك فى سرعة :

- لاداعى .. إننا سنتبعه ، إلى أى مكان يذهب إليه .

سأله فى عصبية :

- كيف ؟.. إننا لانملك وسيلة طيران مماثلة .

أجابته (نشوى) :

- لاداعى .. إننا سننتظر هبوطه ، ثم ننقض عليه .

سألتها (سلوى) فى لهفة :

- كيف ؟

أجاب (نور) ، وهو يضغط أزرار جهاز تتبع إليكترونى :

- بفضل (نشوى) .. لقد تظاهرت بجذب ياقته فى غضب ، واستغلت هذا لتلصق بياقته جهاز إرسال بالغ الدقة ، سيمكّننا من تتبعه عن بعد ، ومعرفة مخبئه .

ابتسمت (نشوى) ، وهى تقول :

- يسعدنى أن لاحظت هذا .

أما (أكرم) ، فقد فغر فاه فى دهشة ، وهو يقول :

- أما أنا ، فلم أنتبه إلى هذا قط .

غمغمت (نشوى) فى خفوت :

- أشكرك .

فى نفس الوقت ، كانت (سلوى) تسرع نحو جهاز التتبع ، وتسأل (نور) :

- هل عثرت عليه ؟

أجابها فى اهتمام :

- نعم .. إنه يتجه شرقًا .

انضمّ إليهما (رمزى) ، وهو يقول فى قلق :

- ولكنك أعطيته المكعبات الحقيقية يا (نور) ، وهذه مخاطرة بالغة .

أجابه (نور) ، وهو يتابع حركة (كيرك) فى اهتمام :

- اطمئن .. ما أعطيته إياه عبارة عن مكعبات فارغة ، لن يمكنه كشف حقيقتها ، إلا بعد عودته إلى (أمريكا) .. هذا لو سمحنا له بالعودة إليها .

سألته (سلوى) ، وهى تراقب الإشارة :

- أين المكعبات الحقيقية إذن ؟

أجابها وهو يتابع الإشارة على شاشة الجهاز بدوره :

- فى خزانة أخرى خفية .. أسفل هذه الخزانة تمامًا .

هتف (أكرم) :

- يالك من ثعلب ماكر !.. لقد خدعتنى أنا ، بقصة الخزانة ، وال...

قاطعته (سلوى) ، وهى تقول :

- عجبًا !!

التفت إليها الجميع فى قلق ، وسألها (نور) :

- ماذا هناك ؟

أشارت إلى شاشة جهاز التتبع ، قائلة :

ـ هذه الإشارة .

سألها في توتر :

ـ ماذا بها ؟.. ألا تبدو لك طبيعية ؟

صمتت لحظة ، وهي تتابع الإشارة مرة أخرى ، ثم أجابت :

ـ إنها تتجه شرقًا ، على نحو منتظم أكثر من اللازم .

سألها قلقًا :

ـ وما الذي يعنيه هذا ؟

أجابته في قلق مماثل :

ـ لست أدري ، ولكن البشر لا يمكنهم الطيران على هذا النحو المنتظم ، حتى ولو ..

قاطعها هذه المرة أزيز منتظم ، جعل (نور) يهتف ، وهو يقفز جانبًا ، لحماية زوجته :

ـ احترسوا .

ولكن تحذيره جاء بعد فوات الأوان ، فلم يكد يطلقه حتى انفجرت تلك القنبلة الصغيرة في منتصف المكان ، وتصاعدت منها تلك الغازات الكثيفة ، وهتف (أكرم) :

ـ إنه غاز قاتل .. اكتموا أنفاسكم ، واخرجوا منها .

ولكن هذا التحذير أيضًا جاء بعد فوات الأوان ، فلم تكد (نشوى) تستنشق هذا الغاز ، حتى تهاوت فاقدة الوعي ، ولحقتها (سلوى) ، في ثوان معدودة ، وهتف (رمزى) في تهالك :

ـ إنه غاز مخدر .

صاح به (أكرم) :

ـ اكتم أنفاسك .

ولكن (رمزى) سقط فاقد الوعى بدوره ، وشعر (أكرم) نفسه بدوار عنيف ، في حين لم ينبس (نور) ببنت شفة ، خشية إرهاق رئتيه ، وانتزع مسدسه الليزرى ، وهو يكتم أنفاسه بكفه ، ولكنه فوجئ بضربة قوية ، تنتزع منه مسدسه ، ثم هوت على فكه لكمة أخرى ألقته أرضًا ، ورأى أمامه (كيرك) ، مرتديًا قناعًا واقيًا من الغازات ، وهو يقول :

ـ أتصورتني ساذجًا إلى هذا الحد أيها المصري .. أنا أيضًا تركت لديكم جهاز تصنت صغير .. نقل إليّ كل حرف نطقتم به هنا ، أما عن جهازكم ، فقد كشفته فور انصرافي من هنا ، إذ لم يرق لي ما فعلته تلك الفتاة أبدًا ، وأيقنت أنها كانت تسعى لأمر آخر ، ففحصت ياقة قميصي ، وعثرت على جهاز الإرسال الصغير ، ثم ألصقته بقذيفة بعيدة المدى ، وأطلقتها شرقًا ، وتركتكم تتابعونها ، في حين عدت أنا إليكم .

تمتم (نور) ، وهو يقاوم غيبوبته في شدة :

ـ أيها الوغد !

أما (أكرم) ، فهتف :

ـ اللعنة !

ثم سقط فاقد الوعي ..

ولكنه فوجئ بضربة قوية ، تنتزع منه مسدسه ، ثم هوت على فكه لكمة أخرى ألقته أرضًا ..

وفى هدوء ، انحنى (كيرك) يلتقط مسدس (نور) الليزرى ، وهو يقول :

ـ لقد حطمت مسدسى ، ومن حقى الحصول على مسدس .. أليس كذلك ؟

ثم ابتسم ابتسامة صفراء ، واتجه إلى الخزانة ، وهو يقول :

ـ الوداع أيها الرائد .. الوداع لقاهرتكم الجديدة كلها .

حاول (نور) أن يوقفه ، ولكن الغيبوبة أطبقت على رأسه من كل جانب ، حتى هوى فيها ، و ...

وانتهى كل شىء ..

* * *

ظلّ (محمود) و (مشيرة) يحدقان فى وجه (ساندرا) لحظات ، بعد أن نطقت عبارتها ، ثم قال (محمود) فى غضب :

ـ يا للوضاعة !!.. إذن فأنتما تنويان نسف (القاهرة الجديدة) ، حتى لو حصلتما على المكعبات ؟!

هزّت كتفيها فى استهتار ، قائلة :

ـ بالطبع ..

ثم استدركت ساخرة :

ـ ولكن لا تقلق كثيرًا .. إننا هنا فى أقصى غرب العاصمة ، ولدينا هنا جهاز رائع ، سيصنع حاجزًا من الطاقة ، يستحيل أن يخترقه الانفجار الذرى نفسه ، بحيث نستطيع أنا وزميلى أن ننطلق غربًا ، دون أن يؤذينا الانفجار ، ولو كنتما طفلين مهذبين ، فسأضعكما غرب الحاجز ، قبل أن تنفجر القنبلة .

قالت (مشيرة) بالانجليزية فى حنق :

- اذهبى إلى الجحيم .

قهقهت (ساندرا) ضاحكة ، وقالت :

- لست أظن أننى من سيذهب إليه يا عزيزتى .

ثم استدارت لتكمل عملها فى القنبلة ، مستطردة :

- لو كان هناك جحيم بالفعل .

عقدت (مشيرة) حاجبيها فى غضب جارف ، والتفتت إلى (محمود) ، تقول :

- هل ستتركها تفعل هذا ؟

بدا عليه الشرود ، وهو يتطلع إلى قيوده فى اهتمام ، فهتفت به :

- هل تسمعنى ؟

صاحت بها (ساندرا) ، دون أن تلتفت إليها .

- اصمتى أيتها الثرثارة ، وإلا قطعت لسانك ، وأطعمته لقطى الصغير .

نظرت (مشيرة) إلى ظهرها فى غضب ، ولكنها خفضت من صوتها إلى درجة الهمس ، وهى تقول :

- ألم تسمعنى يا (محمود) ؟

التفت إليها (محمود) ، وقال :

- هل يمكنك بلوغ ساعتى هذه ؟

بدا لها السؤال مباغتًا ، فهمست فى دهشة :

- ساعتك ؟!.. وما شأن ساعتك بما سيحدث ؟.

سألها فى حدة :

- هل يمكنك هذا ؟

تطلعت إلى معصمه ، وإلى ساعته ، وقالت :

- نعم .. أظن هذا .

أجاب هامسًا فى انفعال :

- عظيم .. ستجدين فى جانبها زرًا صغيرًا ، وآخر كبيرًا ، حاولى الضغط على الزر الصغير .

أدارت يديها فى صعوبة ، وهى تختلس النظر إلى (ساندرا) ، التى انشغلت فى وضع اللمسات الأخيرة للقنبلة ، وهمست :

- ما الذى سيفعله هذا ؟

أجابها فى صوت خافت :

- سيطلق ذبذبة فوق صوتية ، ذات تردد مرتفع للغاية .

سألته :

- وما الذى سيفعله هذا ؟

قال فى حدة :

- اضغطى الزر أولًا .

اقتربت بسبابتها من الزر الصغير ، وضغطته فى صعوبة ، فى نفس اللحظة التى التفتت فيها (ساندرا) ، هاتفة :

- لقد انتهيت .. قنبلتنا الآن جاهزة لـ ...

بترت عبارتها بغتة ، عندما رأت (مشيرة) تتراجع فى سرعة ، وهتفت فى شراسة :

ـ ماذا تفعلان ؟

أجابتها (مشيرة) فى حدة :

ـ ليس هذا من شأنك .

اندفعت نحوها (ساندرا) ، وجذبتها من شعرها فى قسوة ، وهى تقول :

ـ إياك أن تتحدثى إلىّ بهذا الأسلوب ثانية .

صاحت بها (مشيرة) :

ـ اتركى شعرى أيتها الحقيرة .. إنك تؤذيننى كثيرًا .

هتفت (ساندرا) فى غضب :

ـ حقيرة ؟!.. فليكن أيتها المصرية .. لقد حذرتك .

ثم انتزعت مسدسها ، وألصقت فوهته بصدغ (مشيرة) ، وهى تقول فى حدة ، تمتزج بالشماتة :

ـ أنت تستحقين هذا ، ولن يحزن (كيرك) لمصرعك كثيرًا .. الوداع أيتها المصرية السخيفة .

وضغطت زر خزان الطاقة ، فى المسدس الليزرى ، لتبلغ الأشعة أقصى قوتها عند الانطلاق ..

واتسعت عينا (مشيرة) فى رعب ..

رعب هائل .

* * *

٦ ـ الخسارة ..

كان (نور) أوّل من استعاد وعيه ، بعد أن تبددت الغازات ، ففتح عينيه فى صعوبة ، وألقى نظرة على الخزانة ، التى انتزعت من مكانها ، وتحطم أسفلها رتاج الخزانة الإليكترونية الخفية ، وغمغم :

ـ اللعنة !

نهض فى صعوبة ، وجرّ قدميه جرًا إلى الخزانة الإليكترونية ، وشعر بثقل يجثم على صدره ، عندما وجدها خالية ، دون أدنى أثر لحقيبة المكعبات ، وقال لنفسه فى مرارة .

ـ رباه !! لقد خسرنا كل شىء .

سمع تأوهات (سلوى) من خلفه ، فأسرع إليها ، وراح يسعفها ، ويسعف باقى رفاقه ، حتى استعاد الجميع وعيهم ، وقالت (نشوى) فى تهالك :

ـ ماذا حدث؟

قصّ عليهم (نور) ما حدث بكلمات سريعة ، فهتف (أكرم) فى مرارة :

ـ إذن فقد ربح ذلك الأمريكى؟

قالت (سلوى) فى حماس :

ـ ليس بعد .. إنه لم يغادر (القاهرة الجديدة) بالتأكيد ، فلم نفقد وعينا إلا بضع دقائق فحسب .

قال (نور) فى ضيق :

- من يدرى؟ .. ربما غادرها بسرعة الصاروخ .

هتف (أكرم) :

- وماذا عن (مشيرة) و(محمود)؟

قال (نور) فى حزم:

- سنبذل أقصى جهدنا للعثور عليهما ، وفى الوقت نفسه سأطلب من جهاز الأمن الجديد محاصرة المدينة .. سنفعل كل مايمكننا ، ولكن ..

سأله (رمزى) :

- ولكن ماذا؟

تنهد (نور) فى عمق ، وقال :

- ولكننا نحتاج إلى ما هو أكثر من العمل والبحث.

سأله (أكرم) مستنكرًا :

- وما الأكثر من العمل والبحث ؟

أجابه (نور) على الفور :

- المعجزة .. إن مانحتاجه ياصديقى هو معجزة .. معجزة حقيقية .

وران الصمت على المكان ..

* * *

لم تكن (ساندرا) تحتاج لأكثر من ضغطة واحدة ..

ضغطة على زناد مسدسها الليزرى ، وتنطلق الأشعة

القاتلة ، بأقصى قوتها ، لتخترق رأس (مشيرة) وتنتزع مخها من جمجمتها ..

ولكن (ساندرا) لم تضغط هذه الضغطة ..

ليس لأنها تراجعت عن رأيها ، وإنما لأن ضربة أصابت يدها فى اللحظة المناسبة ، فأطاحت بمسدسها جانبًا ، وجعلتها تطلق شهقة ألم ودهشة ، قبل أن تلتفت إلى صاحب الضربة ، فى نفس الوقت الذى هتفت فيه (مشيرة) :

- أنت؟!

كادت (ساندرا) تطلق الصيحة نفسها ، وهى تحدق فى وجه (محمود) ، قبل أن تهتف :

- كيف تخلصت من قيودك؟

عدل (محمود) منظاره الطبى ، وقال فى توتر بالغ :

- بالموجات فوق الصوتية .. إننى خبير فى علم الأشعة ، وأعلم أن قيود الطاقة هذه ، ليست سوى نوع من الترددات الصوتية ، مع مجال كهرومغناطيسى قوى ، ولقد أفسدت الترددات فوق الصوتية ، التى أطلقتها ساعتى الخاصة ، موجات قيودى ، وأبطلت مؤقتًا عمل المجال الكهرومغناطيسى ، فسقطت القيود عن معصمىَّ وقدمىَّ .

بقيت لحظة تحدق فى وجهه بدهشة ، ثم كشرت عن أسنانها فى شراسة ، وهى تقول :

- ولكن هذا لايعنى أن تربح .

قالتها وانقضت عليه فى عنف ، ولكمته فى أنفه لكمة قوية ، ألقته أرضًا ، وسالت الدماء من أنفه فى غزارة ، ولكنه تمالك نفسه ، وهبّ واقفًا ، وهو يقول :

ـ سيدتى .. لست أرغب فى ..

انقضت عليه مرة أخرى ، هاتفة :

ـ فى ماذا ؟

تفادى انقضاضتها ولكمتها هذه المرة ، وانزلق أرضًا فى سرعة ، ثم التقط مسدس الليزر ، الذى أسقطه منها ، وهو يقول :

ـ لاتجبرينى على استخدام العنف .

استدارت إليه فى حركة حادة ، وركلت المسدس من يده فى مهارة ، وهى تهتف :

ـ أى عنف ؟

تراجع فى حركة عنيفة ، وقفزت هى نحوه مرة ثالثة ، وهى تصرخ فى وحشية مخيفة :

ـ سأمزّقك إربًا .

خفق قلب (مشيرة) فى عنف ، مع صرخة (ساندرا) ، وشعرت بالشفقة على (محمود) ، بجسده الضعيف ومشاعره الرقيقة ، ولكن عيناها لم تلبث أن اتسعتا فى هلع ودهشة ، عندما رأت (محمود) يتفادى انقضاضة (ساندرا) ، ثم يهوى على معدتها بلكمة قوية ، قائلًا :

ـ معذرة .

وأعقب لكمته بأخرى على أنفها ، مستطردًا :

ـ لم يعد لدى خيار آخر .

تراجعت (ساندرا) ، من أثر الضربة والمفاجأة ، وارتطمت مؤخرة رأسها بالقنبلة ، فأطلقت شهقة مكتومة ، ثم سقطت عند قدمى (محمود) فاقدة الوعى ، وعدّل هو منظاره فى توتر ، وهو يقول :

ـ أنت أجبرتنى على هذا .

ثم التفت إلى (مشيرة) ، مستطردًا :

ـ سأحل قيودك .

حدّقت فى وجهه بذهول ، وهو يضغط زر ساعته ، ليخلّصها من تلك القيود العجيبة ، وهتفت :

ـ مستحيل !.. لست أصدّق عينى .. أنت فعلت هذا .

غمغم متوترًا :

ـ كنت مضطرًا .

نهضت هاتفة :

ـ لن يصدقنى أحد .. أنا نفسى لاأصدّق ماحدث ، على الرغم من أننى رأيته بعينى .

ارتبك وهو يقول :

ـ لست أشعر بالفخر .. لقد ضربت امرأة .

قالت فى حماس :

- كانت تستحق هذا .
ارتبك أكثر ، وهو يقول :
- ربما .. ولكننى لن أروى ما حدث لأى مخلوق ، فمن العار أن يضرب الرجل امرأة ، مهما كانت الأسباب .
تطلعت إليه لحظات فى صمت وإعجاب ، وخيّل إليها أنها تراه لأوّل مرة ، أو أنها ترى فيه مالم تره من قبل ، فى حين اتجه هو إلى جهاز الطاقة ، وراح يداعب أزراره فى سرعة ، فسألته :
- ماذا تفعل؟
لم ينتبه إلى تلك الرنة الحانية فى صوتها ، وهو يجيب :
- تعديل بسيط .
انتهى من عمله فى سرعة ، ثم التفت إلى القنبلة الذرية ، وقال :
- لابد أن نتلف هذا الشىء .
سألته فى اهتمام :
- هل تعلم كيف نتلفها؟
أجاب فى بساطة :
- أى طالب فى المرحلة الثانوية يمكنه هذا .
بدأ بحل الزر الأحمر ، وقطع أسلاكه ، ثم اتجه إلى الزر الأزرق ، وهو يقول فى قلق :
- لقد أنهيت الخطر المباشر لها ، و....

قاطعه صوت صارم ، يقول :
- وهذا يكفى .
التفت فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ورأى مسدس (كيرك) مصوبًا إلى رأسه ، وهذا الأخير يقول :
- كما يكفيك ما عشته من الحياة حتى الآن .
وضغط زناد المسدس ..

* * *

هتفت (سلوى) فجأة ، وهى تشير إلى جهاز التتبع :
- لقد التقطت إشارة .
سألها (نور) فى لهفة :
- أية إشارة؟
أجابته فى انفعال ، وهى تشير إلى النقطة ، التى ظهرت عليها الإشارة ، على شاشة الجهاز :
- إشارة سريعة ، استغرقت بضع ثوان فحسب ، ولكنها آتية من مصدر يطلق موجات فوق صوتية ، فائقة التردد .
سألها (رمزى) :
- وما الذى يعنيه هذا؟
أجابت بانفعالها :
- لست أعرف سوى جهاز واحد ، بعد ما فعله الغزاة ، يمكنه أن يطلق مثل هذه الموجات .
واعتدلت مستطردة :
- ساعة (محمود) .

أشرقت الوجوه بالأمل ، وسأل (أكرم) فى سرعة :

- هل أمكنك تحديد مصدرها ؟

أجابته فى ضيق :

- ليس تمامًا ، ولكنها تأتى من الغرب ، من هذه المنطقة .

تطلع (رمزى) إلى المنطقة ، التى تشير إليها ، وقال فى أسف :

- إنها منطقة شاسعة ، تلك التى تشيرين إليها ، ولم يمتد إليها العمران بعد ، وتفتيشها يحتاج إلى أسبوع كامل ، بدون أقمار صناعية ، أو أجهزة رصد متطوِّرة .

هتفت محنقة :

- آه لو انطلقت الإشارة مرة أخرى .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ظهرت الإشارة مرة أخرى على الشاشة ، فهتفت (نشوى) :

- ها هى ذى .

أسرعت (سلوى) تسجِّل الإشارة هذه المرة ، وصاحت فى ظفر :

- لقد حدَّدت المكان بمنتهى الدقة .

وقال (أكرم) فى حماس :

- أراهن أننا سنجد (مشيرة) و(محمود) هناك .

وقال (نور) فى حزم ، وهو يتجه إلى الخارج :

- هيا بنا .

استوقفه (أكرم) ، وهو يقول :

- مهلًا أيها الرائد .. أخبرنى أوَّلًا .. هل ستتعامل مع ذلك الوغد ، إذا ما التقينا به ، بنفس منطقك القديم .. الخاص بالمحافظة على الأرواح ؟

أجابه (نور) :

- بالطبع .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وقال :

- فى هذه الحالة سأعمل وحدى .

ثم ابتسم مستطردًا :

- وسنرى من منا صاحب الأسلوب الأفضل .

قالها واندفع نحو سيارته ، وقفز داخلها ، وانطلق بها فى سرعة ، فغمغمت (نشوى) :

- إننى ألقى على نفس السؤال ذاته .. من منكما صاحب الأسلوب الأفضل ؟

أجابها (نور) ، وهو يجلس خلف عجلة قيادة سيارته :

- هذا سؤال سيحسمه المنطق التِّجارى .. منطق الربح ، أو ..

صمت لحظة ، ثم أضاف فى توتر :

- أو الخسارة ..

وانطلق مع فريقه نحو الغرب ..

ونحو مصير مجهول ..

* * *

٧ ـ الهدف ..

لاشك فى أن دهشة (مشيرة) ، فى تلك الليلة ، تفوق كل ماشعرت به من دهشة ، فى عمرها كله ، فقد رأت (كيرك) يطلق أشعة مسدسه على رأس المخرج ، منذ ساعات مضت ، وهى تعلم جيداً أنه لن يخطئ رأس (محمود) أبدا ، إذا ما رغب فى إصابته ..

ومن هنا كانت دهشتها ..

لقد تحرَّك (محمود) بسرعة مدهشة حقًا ، فدفعها جانبًا ، وقفز هو إلى الجانب الآخر ، وأطلق أشعة مسدسه نحو (كيرك) ، وهو يتفادى طلقة الأشعة ، التى انطلقت من مسدس هذا الأخير ..

وفوجئ (كيرك) بهذا أيضاً ..

كانت التحريات التى يملكها رؤساؤه ، حول (محمود) هذا تؤكِّد أنه شاب هادئ وديع ، لاشأن له بالقتال والصراع ..

ولهذا بالذات تم اختياره كرهينة ..

ولكن (محمود) لم يكن يُحسن التصويب ؛ ولهذا لم تصب رصاصته (كيرك) ..

لقد أصابت فقط حزام هذا الأخير ، وحطمت إحدى أنبوبتى الضغط الثلاث على جانبيه ..

وهتف (كيرك) فى حنق :

ـ اللعنة!

ثم صوَّب مسدسه مرة أخرى إلى (محمود) ، ولكن ـ ولدهشة (مشيرة) البالغة ـ انقض عليه (محمود) فى شجاعة ، وحاول أن يضربه بكعب المسدس ، ولكن (كيرك) كان ـ بالتأكيد ـ يفوق (محمود) كثيرًا ، فى القتال اليدوى ؛ لذا فقد تفادى الضربة فى بساطة ، ثم أمسك معصم (محمود) ، ولوى ذراعه خلف ظهره فى سرعة ، وأجبره على ترك المسدس ، وهو يقول :

ـ لا .. لن تنجح فى هذا يا رجل.

ثم هوى على مؤخرة عنق (محمود) بضربة قوية ، أسقطته فاقد الوعى ، وصوَّب مسدسه إلى (مشيرة) ، قائلًا فى برود :

ـ هيا يا فتاتى .. لقد انتهت لحظات المرح ، وعاد كل شىء إلى حالته الأولى .

استعادت (ساندرا) وعيها ، فى هذه اللحظة ، فأمسكت رأسها فى ألم ، وهى تقول :

ـ بالشيطان !.. ماكل هذا الصداع؟.. ماذا حدث؟

أجابها (كيرك) فى صرامة :

ـ حدث أننى تركتك هنا ، لرعاية أسيرين ، وعدت لأجدك بحاجة إلى جليسة أطفال .

أحنقها قوله ، وألقت نظـرة مفعمة بالكراهية علـى

(مشيرة) ، ثم قفزت واقفة على قدميها ، وجذبتها من شعرها صارخة :

ـ إنها هذه اللعينة .. سأقتلها .

هتفت (مشيرة) فى غضب :

ـ هذا أفضل من رؤية وجهك السخيف .

قفزت (ساندرا) تلتقط المسدس الملقى أرضًا ، وهى تصرخ :

ـ سأقتلك من أجل هذا .

ولكن (كيرك) صاح غاضبًا :

ـ كفى .

إلا أن (ساندرا) ألصقت فوهة مسدسها بصدغ (مشيرة) ، وهى تقول فى عصبية :

ـ سأقتل هذه الحقيرة .

قال (كيرك) محنقًا :

ـ افعلى ، وسأنسف رأسك بعد رأسها بلحظة واحدة ، ودون أدنى تردد .

تجمدت فى مكانها ، والتفتت إليه فى دهشة ، وهى تقول :

ـ أأنت جاد فى هذا ؟

قال فى غضب :

ـ هل تريدين تجربة الأمر ؟

صاحت فى عصبية :

وجذبتها من شعرها صارخة :

ـ إنها هذه اللعينة .. سأقتلها .

- هل تقتلنى من أجل هذه .. إنها مجرد ..
قاطعها فى صرامة :
- رهينة .. ورقة أخيرة ، يمكننا أن نلعب بها وقت اللزوم .
ترددت لحظة ، ثم عادت تقول فى حدة :
- ليس إلى هذا الحد .
هتف :
- قلت اتركيها .
مضت لحظات ، خفق فيها قلب (مشيرة) فى عنف ، وفوهة مسدس (ساندرا) ملتصق بصدغها ، وهى تسأل نفسها ، عما إذا كانت (ساندرا) ستطيع أمر (كيرك) ، أم أن عنادها سيدفعها إلى قتلها ..؟
.. ثم خفضت (ساندرا) مسدسها أخيرًا ، وهى تقول :
- حسنًا .. سأوافقك هذه المرة .
مط شفتيه لحظة ، ثم سألها :
- كيف تخلصا من قيودهما؟
أشارت إلى (محمود) الفاقد الوعى ، وقالت :
- لقد استخدم ترددات فوق صوتية ، بوساطة ساعته .
ألقى نظرة سريعة على ساعة (محمود) ، ثم قال :
- جرديه منها ، واربطيهما بأحبال عادية ، فهذا أفضل مع العلماء أمثالهما .
غمغمت (مشيرة) :

- هو وحده العالم .
رماها بنظرة استخفاف ، وقال لـ (ساندرا) :
- هيا .
جذبت (ساندرا) (مشيرة) فى عنف ، وقيدت معصميها خلف ظهرها ، فى قوة وشدة ، وتعمدت إيلام (مشيرة) ، التى هتفت محنقة :
- ستدفعين ثمن هذا غاليًا .
تجاهلتها (ساندرا) وراحت تحكم قيود (محمود) ، وهى تسأل (كيرك) فى اهتمام :
- هل حصلت على المكعبات؟
أجابها فى برود :
- نعم .. لقد تم هذا الجزء من الخطة بنجاح .
سألته فى لهفة :
- أين هى؟
أشار إلى صخرة قريبة ، ووضع فوقها الحقيبة ، فأسرعت إليها ، والتقطتها هاتفة :
- لقد نجحنا .
تطلع إليها فى ازدراء ، ثم نظر إلى القنبلة ، وقال :
- يبدو أن ذلك الشاب أفسد قنبلتنا .
قالت وهى تعالج قفل الحقيبة :
- كلا .. لقد أفسد زر الطوارى فحسب ، ولكن الباقى بخير ،

ثم إننا سنضغط فقط الزر الأزرق ، ونشغل جهاز الطاقة ، ليصنع حاجزه ، وننطلق من هنا بأقصى سرعة .

ثم ابتسمت فى شماتة ، وهى تتطلع إلى (مشيرة) ، مستطردة :

ـ ونترك هذين خلفنا .

سرت قشعريرة فى جسد (مشيرة) ، وهى تتصور نفسها أمام قنبلة ذرية ، تنفجر على قيد متر واحد منها ، وتمتمت لنفسها :

ـ يالها من نهاية !

أما (ساندرا) ، فعادت تعالج قفل الحقيبة ، قبل أن تقول فى حدة :

ـ كيف يفتحون هذه الحقيبة اللعينة ؟

أجابها (كيرك) فى هدوء :

ـ لاريب أنه هناك وسيلة سرية .

وضعت الصندوق على الصخرة ، وهتفت :

ـ لدى وسيلة أفضل .

رفعت المسدس الليزرى فى حركة حادة ، وأطلقته على قفل الحقيبة ، فصاح (كيرك) فى هياج :

ـ ماذا فعلت أيتها الحمقاء ؟

تراجعت هى فى دهشة ، عندما تألقت الحقيبة ببريق فيروزى ، لم يلبث أن أحاط بها ، على هيئة كرة شفافة متألقة ، وصرخ (كيرك) :

ـ لقد أشعلت جهاز الأمن .

هتفت متوترة :

ـ أى جهاز أمن ؟

قال فى حدة :

ـ كل الحقائب السرية مزوّدة بمثل هذا الجهاز .. إنه جهاز خاص ، يعمل عند محاولة فتح الحقيبة بالقوة ، فيحيطها بغلاف واق من الطاقة ، مثل الغلاف الذى سيحمينا من انفجار القنبلة الذرية .. حتى القنابل الذرية ، لن تنجح فى اختراقه أيتها الغبية .

تراجعت خطوة أخرى ، وهى تردد :

ـ يا للشيطان !

ثم سألت (كيرك) فى قلق :

ـ ماذا سنفعل الآن ؟

أجابها فى حدة :

ـ أفضل مايمكننا أن نفعله ، هو أن نحمل هذه الكرة من الطاقة ، التى تحوى الحقيبة ، ونشغل القنبلة ، ثم نبتعد عن هنا بأقصى سرعة .

ارتفع صوت صارم ، يقول :

ـ ومن قال إننى سأسمح لك بهذا ؟

التفت (كيرك) ، و(ساندرا) إلى مصدر الصوت فى عنف ، وانعقد حاجبا (كيرك) فى غضب ، عندما رأى (أكرم) الذى

صوّب إليه مدفعًا آليًا عتيقًا ، من الطراز الذى يستخدم الرصاصات ، وهو يقول :

- لقد خسرت أنت اللعبة يا رجل، وحانت لحظة الاستسلام .

صاح (كيرك) فى غضب ، وهو يرفع مسدسه فى سرعة ، ويطلق أشعته على (أكرم) :

- ليس بعد .

أصابت الأشعة ماسورة مدفع (أكرم) ، الذى صاح فى غضب ، وهو يلقى مدفعه بعيدًا ، وينقضّ على (كيرك) :

- سترى .. إننى أميل إلى القتال فى العراء .

أطاح بمسدس (كيرك) ، بضربة واحدة من قدمه ، ثم التحم مع هذا الأخير ، فى قتال عنيف ، راقبته (ساندرا) فى توتر ، وهى تهتف :

- اقتله يا (كيرك) .. اقتله بلا تردد .

ولكن القتال بدا متكافئًا إلى حد كبير ، فقد كان كل من المتقاتلين عنيدًا ، قوى الشكيمة ، مما دفع (ساندرا) إلى التدخل مباشرة ، فاندفعت نحو (أكرم) وضربت مؤخرة عنقه بكعب مسدسها فى قوة ، فجحظت عيناه لحظة ، ثم هوى فاقد الوعى ..

وفى توتر ، قال (كيرك) :

- كنت أستطيع هزيمته وحدى .

ابتسمت فى سخرية ، قائلة :

- أعلم هذا .

ثم جذبت (أكرم) إلى حيث (مشيرة) و(محمود) ، فى نفس اللحظة التى استعاد فيها هذا الأخير وعيه ، وتمتم :

- أين أنا ؟

انتبه إلى ما حوله بغتة ، فاستطرد فى توتر :

- ألم تنفجر القنبلة بعد ؟

قال (كيرك) فى صرامة ، وهو يتجه إلى القنبلة :

- لن يطول الوقت ، قبل أن يحدث هذا .

ثم صاح بـ (ساندرا) :

- أحكمى وثاق ذلك المصرى ، إلى جوار زميليه ، حتى يلتهمهم الانفجار التهامًا .

ألصقت مسدسها برأس (مشيرة) ، فى حركة حادة ، وهى تقول :

- لدى فكرة أفضل .. سأرحمهم من انتظار لحظة موتهم .

انتبه (كيرك) بغتة إلى سيارة (نور) ، القادمة من بعيد ، فهتف :

- لا وقت لهذا .. سأشعل القنبلة .

ضغط الزر الأزرق فى سرعة ، فصاحت به (ساندرا) :

- ولِمَ العجلة ؟

أجابها فى صرامة :

- لابد أن نبتعد بأقصى سرعة ، قبل أن يبلغنا ذلك الرائد ، وتتعقد الأمور أكثر ..

خفضت مسدسها فى سرعة ، واندفعت نحو جهاز الطاقة ، هاتفة :

ـ لن يمكن عبور حاجز الطاقة خلفنا ، ولن يمكنه إيقاف الانفجار .

ضغطت زر تشغيل الجهاز ، و...

وانطلقت من حلقها صرخة ذعر ..

كان المفروض أن يصنع الجهاز حاجزًا واحدًا للطاقة ، وبعد نصف الدقيقة من تشغيله ، طبقًا لبرنامجه ، ولكن الذى حدث أن الجهاز صنع دائرة كاملة من الطاقة ، فور ضغط الزر ، أحاطت بـ (ساندرا) ، و(كيرك) ، والقنبلة ، وحتى حقيبة المكعبات ..

وفى انفعال صارخ ، هتف (كيرك) :

ـ ماذا فعلت أيتها الغبية ؟ .. إنك ستقتليننا هكذا .. ارفعى دائرة الطاقة هذه .

أخذت تضغط أزرار جهاز الطاقة فى عصبية ، وهى تقول :

ـ لا فائدة .. لقد عبث أحدهم بالجهاز ، وأبدل برنامجه ، ولا يمكننى حتى إلغاء التشغيل .

اتسعت عينا (كيرك) فى ذعر ، وهتف :

ـ من فعل هذا ؟

أجابه (محمود) ، من خلف حاجز الطاقة الاسطوانى ، الذى يرتفع إلى السحاب :

ـ أنا فعلت .

التفت إليه (كيرك) ، و(ساندرا) ، وصاحت الأخيرة فى هلع :

ـ أنت ؟!

أجابها فى هدوء ، وبصوت يحمل رنة حزن وأسف :

ـ نعم .. كانت خطة بديلة ، فى حالة فشل محاولة فرارنا .. لقد عدّلت برنامج الجهاز ، بحيث يحيطكما وحدكما باسطوانة طاقة ، تحوى داخلها القنبلة الذرية ، لأحمى (القاهرة الجديدة) من تأثيرها .. وهذا البرنامج غير قابل للإلغاء ، وجهاز الطاقة غير قابل للتدمير كما تعلمان ، فهو سيمتص كل ما يوجه إليه .

شحب وجه (ساندرا) واستدارت فى هلع إلى القنبلة الذرية ، صائحة :

ـ أوقف القنبلة إذن يا (كيرك) .. أوقفها .

أجابها فى عصبية مفرطة :

ـ مستحيل ! .. أنت تعلمين أن هذا مستحيل !

استعاد (أكرم) وعيه ، فى هذه الأثناء ، فنهض يحل وثاق (محمود) ، وهو يقول :

ـ أحسنت يا فتى .. لقد سمعت كل شىء .

أجابه (محمود) فى توتر :

ـ أسرع بحل وثاقنا إذن ، فلابد أن نبتعد عن هنا بقدر الإمكان .

سأله (أكرم) :

- لماذا؟ .. ألم تقل إن اسطوانة الطاقة هذه ، ستحمى (القاهرة)؟

أجابه (محمود) :

- هذا محتمل ، ولكن من يدرى إذا ماكانت جدران الطاقة هذه ستحتمل الانفجار داخلها أم لا ؟!

هتف (أكرم) فى اضطراب:

- أتعنى أنه من المحتمل أن ...

قاطعته (مشيرة) ، بعد أن تحررت من قيودها :

- إنه يعنى ضرورة ابتعادنا عن هنا ، بأقصى سرعة ممكنة .

انطلق الثلاثة يعدون مبتعدين ، وشاهدهم باقى أفراد الفريق ، فى سيارة (نور) ، فهتفت (سلوى) :

- إنهم (محمود) و(مشيرة) و(أكرم) .. لقد أفلتوا .

أوقف (نور) سيّارته إلى جوارهم ، وهتف :

- مرحى يارفاق.. لقد نجوتم .

انحشر الثلاثة داخل السيارة ، وهتف (أكرم) :

- ابتعد عن هنا يا(نور) .. ابتعد بأقصى سرعة .

سأله (نور) فى دهشة :

- لماذا .. وماتلك الاسطوانة الفيروزية المتألقة ، التى تمتد من الأرض إلى السماء .

صاح به (أكرم) :

- ابتعد أوّلاً يا(نور) .. ابتعد وسنخبرك بكل شىء لاحقًا .

ضغط (نور) كابح السيارة ، وأدار عجلة القيادة فى سرعة ، فدارت السيارة حول نفسها نصف دورة ، ثم انطلقت فى الاتجاه العكسى ، وراحت تبتعد فى سرعة كبيرة ، فى نفس الوقت ، الذى هتفت فيه (ساندرا) ، داخل الاسطوانة ، فى انهيار :

- لقد انتهينا .. ستنفجر القنبلة بعد ثلاث دقائق .. لايوجد مهرب من هذا .

اعتدل (كيرك) ، وقال فى توتر :

- بل يوجد مخرج واحد .

سألته فى لهفة وضراعة :

- أين هو؟ أخبرنى .

فوجئت به يلكم أنفها بكل قوته ، وهو يقول :

- ها هوذا .

سقطت على الأرض ، ودار رأسها فى عنف ، والدماء تنزف من أنفها فى غزارة ، فى حين انحنى هو ينتزع حزام الطيران عن وسطها ، وهو يقول :

- الوسيلة الوحيدة للفرار ، من كل هذا ، هى الطيران حتى قمة الاسطوانة ، والخروج من فتحتها العلوية ، ثم الاحتماء بها بعد الانفجار ، ولايوجد لدينا سوى حزام طيران واحد ، فقد أفسد ذلك الفتى حزامى كما تعلمين .

حل حزامه عن وسطه ، ووضع حزامها فى موضعه ، ثم

كرة الطاقة ، التى تحوى حقيبة مكعبات الكمبيوتر ، ودس مسدسه الليزرى فى حزامه ، وهو يقول :

ـ وداعًا يا عزيزتى (ساندرا) .. سأبذل قصارى جهدى ، حتى لا أنسى تضحيتك النبيلة هذه .

وابتسم فى سخرية ، ثم ضغط زر حزامه ، وأطلق النفاثات الصغيرة ، وانطلق طائرًا ..

وفى حنق ومرارة ، رفعت (ساندرا) مسدسها الليزرى ، وتمتمت :

ـ لن تذهب بعيدًا يا (كيرك) .

وأطلقت الأشعة ..

وفى ساعده الأيمن ، شعر (كيرك) بآلام شديدة ، فأفلت كرة الطاقة بحركة غريزية ، وهو يهتف :

ـ اللعنة !

سقطت الكرة مرة أخرى داخل الاسطوانة ، وتدحرجت إلى حيث (ساندرا) ، فى حين واصل (كيرك) ارتفاعه فى سرعة كبيرة ، وهو يدرك أن محاولة العودة لاستعادة حقيبة مكعبات الكمبيوتر ، ستعنى هلاكه حتمًا ؛ إذ أن الوقت المتبقى لا يكاد يكفى لفراره ..

لو أنه سعيد الحظ ..

أما (ساندرا) ، فقد ابتسمت فى مرارة ، وهى تحتضن كرة الطاقة ، مغمغمة :

ـ هأنذا قد حصلت عليها وحدى .. حصلت على مصدر القوة .

وراحت تقهقه ضاحكة ، وأرقام ساعة القنبلة تدنو بسرعة من ذلك الرقم الرهيب .

الرقم صفر ..

* * *

وراحت تقهقه ضاحكة ، وأرقام ساعة القنبلة تدنو بسرعة من ذلك الرقم الرهيب .. الرقم صفر ..

٨ـ الانفجار ..

ضغط (نور) فرامل سيارته فى قوة ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ ماذا تقول يا (محمود)؟!.. أما تزال حقيبة المكعبات هناك؟.. أتعلم ما يعنيه هذا؟.. سيسحقها الانفجار سحقًا ، ويضيع تاريخ الأرض إلى الأبد .

أجابه (محمود) ، وهو يعدّل منظاره الطبى فى توتر :

ـ لا أعتقد هذا يا (نور) .. لقد حاولت (ساندرا) فتح قفل الحقيبة عنوة ، فأشعلت جهاز الأمن ، وتكوّنت كرة الطاقة حول الحقيبة .

هتف (نور) :

ـ ولكن الانفجار سيطيح بها يا (محمود) ، وقد لا نعثر عليها بعد هذا أبدًا .

ثم أدار محرّك السيّارة مرة أخرى ، مستطردًا فى حدة :

ـ لابد أن نعود ، ونحاول استرجاعها ، و...

قاطعه (أكرم) :

ـ هل جننت أيها الرائد .. ستنفجر هذه القنبلة بعد أقل من نصف الدقيقة ، ولن يمكننا حتى بلوغ مكان القنبلة .

ارتسم غضب هائل على وجه (نور) ، وقال فى حدة :

ـ إذن فقد ضاع كل شىء .

تمتمت (سلوى) فى أسف :

ـ ستنقذ (القاهرة الجديدة) على الأقل .

قال فى مرارة :

ـ من يدرى؟

أضاف (أكرم) فى توتر :

ـ نعم .. من يدرى .. صحيح أن اسطوانة الطاقة قد تحتوى الانفجار ، وتمنع تأثيره المباشر ، ولكن ماذا عن الإشعاعات الذرية ، والتأثيرات غير المباشرة الأخرى ؟ (*) ..

تنحنح (محمود) فى ارتباك ، وقال :

ـ ستمتص اسطوانة الطاقة هذه كل الإشعاعات والانبعاثات الذرية ، كما أن حدوث الانفجار بهذه الصورة الأنبوبية الإجبارية ، قد يدفع بكل التأثيرات الأخرى إلى الفضاء ..

تطلّع (نور) إلى اسطوانة الطاقة الفيروزية المتألّقة ، التى تبدو من بعيد ، وقال فى مرارة :

ـ هذا لايمنع من أننا قد فقدنا كل تاريخ الأرض وعلومها وفنونها .. فقدنا كل شىء .

قالها وتطلّع إلى ساعته ، ورأى أرقامها تتسارع نحو لحظة الصفر ..

لحظة يضيع كل شىء ..

* * *

(*) للقنبلة الذرية تأثيرات أخرى ، بخلاف موجة التضاغط الهائلة التى تصنعها ، والتدمير الشامل فيما حولها ، مثل الإشعاع الذرى المتخلّف عنها ، والغبار الذرى ، الذى يحجب الشمس لأيام ، وغيرها ..

كانت (ساندرا) تشعر برعب لاحد له ، وهى تتطلّع إلى أرقام ساعة القنبلة ، ويداها تبذلان أقصى جهدهما وسرعتهما ، لإصلاح حزام الطاقة ، الذى أصابته طلقة (محمود) ، ثم لم تلبث أن هتفت :

ـ لقد أصلحته .

ألقت نظرة سريعة على الساعة ، التى أشارت أرقامها إلى خمس عشرة ثانية متبقية ، قبل الانفجار ، وأسرعت تحيط وسطها بالحزام ، وتحتضن كرة الطاقة بيدها ، ثم تضغط زر الحزام ، هاتفة :

ـ ستدفع الثمن يا (كيرك) .. ستدفعه عندما نلتقى .

ارتفعت بحزام الطيران عن الأرض ، وانطلقت به إلى أعلى بأقصى سرعة ، وهى تضمّ كرة الطاقة إلى صدرها ، وراحت ترتفع ، وترتفع ، وترتفع ، فى سباق مع الثوانى ..

ولكن الوقت لم يكن لصالحها أبدًا ..

لم تكن قد بلغت حتى منتصف ارتفاع الاسطوانة ، عندما دوى الانفجار ..

انفجار هائل ، رهيب ، مخيف ، زلزل أرض المنطقة كلها من حوله ، لمسافة كيلو مترين على الأقل ، على الرغم من أن جدران اسطوانة الطاقة قد احتوته كله تقريبًا ، واحتملته تمامًا ..

ولأن اسطوانة الطاقة كانت تمتد أسفل المكان أيضًا ، فلم

يكن هناك من مخرج ، لكل هذه الطاقة ، إلا فتحة الاسطوانة من أعلى ..

وبسرعة مذهلة ، ارتفع لسان عملاق من النيران ، من موضع القنبلة إلى أعلى ، مع موجة هائلة من التضاغط ، جعلت الاسطوانة كلها أشبه فوهة مدفع مارد عملاق ، يمتد من الأرض إلى السماء ..

ومن موضع سيارة (نور) ، هتفت (نشوى) ، مشيرة إلى الانفجار :

ـ يا إلهى !.. انظروا ..

تطلّع الجميع إلى حيث تشير ..

كانت تشير إلى فوهة الاسطوانة العملاقة ، التى قفزت منها قنبلة النار والدخان ، وقد اخترقها جسم فيروزى متألّق صغير ..

كرة الطاقة ..

كقنبلة مدفع رهيب ، قذفت الاسطوانة كرة الطاقة فى الفضاء ..

وأمام عيون الجميع ، ضاع الكنز ..

كنز حضارة الأرض كلها ، ذهب إلى الفضاء ..

الفضاء اللانهائى ..

* * *

ألقت (مشيرة محفوظ) جسدها المنهك ، فوق أوّل مقعد صادفها ، داخل مقر المخابرات العلمية الجديد ، فوق جبل المقطم ، وهى تهتف :

ـ لست أصدق هذا .. لست أصدق أن حضارة الأرض كلها ضاعت فى الفضاء .

لم يعلق (نور) بحرف واحد ، وهو يقف صامتًا ، معقود الحاجبين ، أمام نافذة حجرته ، متطلعًا إلى السماء ، بنجومها اللامعة فى مرارة ..

لقد خسر اللعبة كلها ..

خسر ما ائتمنه عليه القائد الأعلى السابق (رحمه الله) ..

هو وحده ، كان يمتلك مفتاح الحضارة ، ثم فقده ، وحرم العالم كله منه ..

إحساسه بالمسئولية الجسيمة كان يجثم على صدره ، ويكاد يزهق أنفاسه ، ويسلبه عقله ..

وشعر (رمزى) بما يعانيه (نور) ..

شعر به بخبرته كطبيب نفسى ..

وكصديق له ..

وفى صمت ، اتجه (رمزى) إلى (نور) ، وربت على كتفه متعاطفًا ، فى حين أطلقت (سلوى) زفرة يائسة ، وغمغمت :

ـ لقد بذلنا جهدنا على الأقل .

قال (نور) فى مرارة :

ـ أى جهد ؟.. لقد فقدنا كل شىء بمنتهى الحماقة ، وارتكبنا عشرات الأخطاء .. لم يكن ينبغى أبدًا أن أترك المكعبات فى المقر السرى ، بعد أن نقلنا كل وسائل الأمن به إلى هنا ، ولم

يكن من المفروض أن تذكر (مشيرة) شيئا عن هذه المكعبات ، ولم يكن من المناسب، أن أذكر أنا موضعها ، قبل أن أتأكد من عدم وجود أجهزة تصنت فى المكان ، ولا أن أذكر أمرها من الأساس .. نعم يا رفاق .. لقد كانت هناك أخطاء ، وأنا ارتكبت تسعين فى المائة منها .. إننى أحمل المسئولية كاملة .

قال (رمزى) فى خفوت :

ـ لم يعد هذا مجديًا الآن يا (نور) .

عدّل (محمود) منظاره ، وقال :

ـ هذا صحيح يا (نور) .. لقد انتهى الأمر ، ولن يفيد الندم ، أو حساب النفس .. عزاؤك الوحيد هو أن هذه المكعبات قد صارت واحدة من النجوم اللامعة ، فى الكون الواسع ، و..

تألقت عينا (نور) ، عندما نطق (محمود) عبارته الأخيرة ، والتفت إليه فى حركة حادة ، هاتفًا :

ـ ماذا قلت؟!

تطلع إليه الجميع فى دهشة ، وارتبك (محمود) ، وهو يقول :

ـ قلت إن الندم لن يفيد ، وإن ..

قاطعه (نور) فى انفعال :

ـ وإن المكعبات صارت واحدة من النجوم اللامعة .

ثم ضرب كفه اليسرى ، بظهر كفه اليمنى ، هاتفًا :

ـ وهذا صحيح بكل المقاييس .. لقد انطلقت كرة الطاقة ،

وداخلها حقيبة المكعبات ، بقوة هائلة ، بعد أن حماها غلافها من التدمير ، فأين يمكن لها أن تذهب ، بكل قوة الدفع هذه .. إلى الفضاء بالطبع .

تبادل الجميع نظرات حائرة ، وتمتمت (نشوى) :

ـ وبم يفيدنا هذا؟

أجابها والدها متحمسًا :

ـ يفيد فى العثور عليها .

هتفت (مشيرة) ، وهى تعتدل فى لهفة :

ـ العثور عليها؟!

قال فى حماس :

ـ نعم يا رفاق .. لدينا كل المعلومات المطلوبة .. مساحة قاعدة اسطوانة الطاقة ، وقوة انفجار القنبلة الذرية ، وحجم كرة الطاقة ، التى كانت تحيط بالحقيبة ، ووزنها .. لدينا كل المعلومات ، ويمكننا حساب المعادلات المطلوبة ، وتحديد موضع كنزنا .

قال (أكرم) فى تردد :

ـ ومن قال إننا نمتلك كل هذه المعلومات؟

أجابه (نور) :

ـ (محمود) هو الذى وضع برنامج الطاقة ، وهو يعرف إحداثياته ، كما أنه راقب تلك الأمريكية ، وهى تعد قنبلتها ، ويمكنه معرفة قوة القنبلة ، وأنا أعلم حجم كرة الطاقة ، التى

تحيط بالحقيبة ، عند تشغيل جهاز الأمن ، وأعرف وزن الحقيبة ، وكل المعلومات اللازمة عنها .

هتفت (نشوى) فى حماس :

ـ ولديك خبيرة كمبيوتر ، من الطراز الأوّل .

قالت (سلوى) معترضة .

ـ ولكن حتى لو حددنا موقع الكرة ، وهذا أمر بالغ الصعوبة ، بالنسبة لحجمها الصغير ، وسط الفضاء الشاسع ، فكيف يمكننا استرجاعها ، وقد دمّر الغزاة كل وسائل السفر الفضائى على الأرض ؟

أجابها (نور) :

ـ يكفى أن نحدّد موضعها ، وسنكتسب بهذا مزية إضافية ، لا يملكها العالم كله ، وسنحتفظ بهذا الموقع سرًا ، حتى نجد وسيلة لاسترجاعها .

ثم تطلّع مرة أخرى إلى النجوم ، واستطرد :

ـ هذه الكرة هى الكنز ، الذى سيعيد إلى الأرض عالمها القديم يا رفاق ، ولن نتخلّى أبدًا عن هذا الكنز ، حتى ولو كان فى أعمق أعماق الفضاء .. لن نتخلّى عن كنز الفضاء هذا أبدًا ..

* * *

توقفت دورية الشرطة ، فى منطقة قلعة (صلاح الدين) ، أمام رجل متين البنيان ، يقطع الطريق سيرًا ، وسط ظلام الليل ، واستوقفه أحد جنود الدورية الثلاثة ، وسأله فى حزم :

ـ إلى أين يا سيّدى ؟

تطلّع إليه الرجل لحظة فى صمت ، ثم قال فى لهجة متهالكة :

ـ إننى فى طريقى إلى مقر المخابرات العلمية الجديد .

قال جندى آخر فى شك .

ـ سيرًا على الأقدام .

أجابه الرجل فى إعياء :

ـ لست أمتلك سيارة مثل سيارتكم هذه .. أنتم تعلمون أن عدد السيارات لايكفى الجميع ، والمسئولون وحدهم يحصلون على السيارات ، فى الوقت الحالى ، حتى يتم تصنيع العدد الكافى منها ، و..

قاطعه الجندى الأوّل فى صرامة :

ـ لكنتك ليست مصرية .. ما جنسيتك بالضبط؟

أجابه الرجل :

ـ سورى .

قال الجندى الثالث فى حزم :

ـ أنت كاذب .. لقد قضيت عامين فى (سوريا) ، ولهجتك لاتنتمى إلى السوريين أبدًا .

قال الرجل فى هدوء :

ـ أؤكّد لك أننى سورى ، وهاهى ذى هويتى ، لتتأكّد من قولى .

مدّ يده إلى جيب سترته فى تهالك ، ثم لم يلبث النشاط أن دبّ

فى جسده بغتة ، وهو ينتزع مسدسًا ليزريًا ، أطلق منه طلقة على جبهة الجندى الأوّل ، ثم أدار فوهته فى سرعة ، وأطلق الطلقة الثانية على قلب الثانى ، فتراجع الجندى الثالث فى حركة حادة ، واستلّ مسدسه الليزرى ، هاتفًا :

- أيها المجرم الـ ..

ولكن الرجل استدار إليه بسرعة كبيرة ، وعاجله بطلقة ثالثة ، أردته قتيلًا ، ثم اعتدل فى نشاط ، وقد ذهب تهالكه الزائف تمامًا ، وابتسم فى سخرية ، وهو يعيد مسدسه إلى جيبه ، قائلًا :

- اشكركم أيها السادة .. كنت أحتاج بالفعل إلى سيارة .

ثم تلفت إلى السيارة ، وأدار محرّكها ، وانطلق بها فى هدوء ..

* * *

اعتدلت (نشوى) ، أمام جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وهى تقول فى حماس :

- وجدتها .

قفز إليها (نور) ، وهو يهتف :

- حقًا ؟!

أما (أكرم) ، فابتسم فى تراخ ، وقال :

- رائع يا آنسة (أرشميدس) .. رائع (*) .

(*) (أرشميدس)- (٢٨٧ ـ ٢١٢ ق.م .) - مهندس ومخترع رياضى وفيزيائى إغريقى ، يعد أوّل من شرح قاعدة الروافع ، وله فيها=

لم يبال (نور) بعبارته ، وهو يسأل ابنته فى لهفة :

- أين يا (نشوى) .. أين عثرت على الكنز المفقود ؟

أجابته ، وهى تشير إلى شاشة الكمبيوتر :

- لقد غذيت الجهاز بكل المعلومات اللازمة ، وأضفت إليها قانون الجاذبية الأرضية (*) ، ومقدار (الداين) اللازم(**) وجاءت النتيجة كما ترى ..

تطلّع إلى شاشة الكمبيوتر ، وقال :

- حمدًا لله .. إنها لم تتجاوز القمر (***) .

ثم اعتدل مستطرذًا فى حماس :

- بقيت مرحلة التيقن من هذه النتيجة .

سألته (مشيرة) فى اهتمام بالغ :

- كيف ؟

= عبارة شهيرة ، تقول : « لو أننى وجدت مركزًا للارتكاز ، لرفعت بها الكرة الأرضية كلها » ، وهو صاحب قانون الطفو الشهير ، الذى يقول : « وزن السائل المزاح ، يساوى دفع الماء من أسفل إلى أعلى ، لأى جسم مغمور فيه » ، وعند توصله إلى هذه الحقيقة ، فى حمام منزله ، انطلق يعدو عاريًا إلى قصر الملك ، وهو يصرخ : « وجدتها .. وجدتها » ونسبت العبارة إليه .

(*) قانون الجاذبية الأرضية - جميع الأجسام تجذب بعضها البعض جذبًا متبادلًا ، وقوة الجذب بين جسمين تتناسب طرديًا ، مع حاصل ضرب الكتلتين ، وعكسيًا مع مربع المسافة بين مركزيهما .

(**) (الداين) - هو وحدة القوة ، فى النظام السنتيمترى الجرامى (سم/جم/ث) ، التى تحدث عجلة قدرها (سم/$ث^2$) فى كتلة قدرها جرام واحد .

(***) يبعد القمر عن الأرض ٣٨٦٩٥٢ كيلو مترًا فى المتوسط .

ولكن الرجل استدار إليه بسرعة كبيرة ، وعاجلة بطلقة ثالثة ، أردته قتيلًا ،
ثم اعتدل فى نشاط ..

أجاب فى سرعة :

- مرصد (حلوان) .. الغزاة لم يهتموا كثيرًا بمرصد حلوان ، لأنه مغلق منذ عدة سنوات ، بعد بناء مرصد الصحراء الغربية المتطوّر ، وسيفيدنا هذا المرصد الآن .

صفقت (مشيرة) بكفيها فى جذل ، وهتفت :

- رائع .. سيكون خبر الموسم .. قنبلة صحفية جديدة .

ثم لوّحت بكفيها ، وتألقت عيناها ، وهى تستطرد :

- البحث عن كنز الفضاء .. ياله من خبر !

هتف بها (نور) فى صرامة :

- لا يا (مشيرة) .. لن أسمح لك بإفساد عملى مرة ثانية .

صاحت معترضة :

- لا يمكنك أن تمنعنى من نشر مثل هذا الخبر يا (نور) .

اقترب منها وهو يقول :

- لن أمنعك يا (مشيرة) ، ولكننا سنعقد صفقة من صفقات الماضى .. سأطالبك بكتمان السر تمامًا ، طوال هذه المرحلة الحرجة ، حتى يمكننا استعادة الكنز ، وبعدها ستحصلين على السبق الصحفى كله .. اتفقنا ؟

أجابت فى حماس :

- اتفقنا .

ابتسم فى ارتياح ، وأشار إلى (أكرم) ، قائلًا :

- والآن يا عزيزى (أكرم) ، أظنك لن تمانع فى إيصال (مشيرة) إلى منزلها .

ابتسم (أكرم) بدوره ، وقال :
- هذا يُسعدنى .
قالت (مشيرة) فى اعتراض :
- ومن قال إننى سأعود إلى منزلى؟.. سأذهب معكم إلى مرصد حلوان . .
أجابها (نور) فى صرامة :
- كلّا يا (مشيرة) .. إنه عمل يخص المخابرات العلمية الآن ، وقوانين العمل تحتم السرية ، وتمنع المدنيين من التدخّل فى شئوننا .
عقد (أكرم) حاجبيه ، وقال :
- لهذا طلبت منى مرافقتها ؟
أجابه (نور) فى صراحة :
- هذا صحيح .
بدا الضيق لحظة على وجه (أكرم) ، ثم لم يلبث أن قال :
- فليكن .. هيا بنا يا عزيزتى .. إلى اللقاء أيها السادة .
لم يكد ينصرف مع (مشيرة) ، حتى قالت (نشوى) فى لهفة :
- لاأطيق صبرًا للتأكد من نتائجى .. هيا بنا .
تطلع (نور) من نافذة حجرته ، إلى سيارة (أكرم) وهى تبتعد ، ثم قال :
- نعم .. هيا بنا .

هبط الجميع إلى حيث سيارة (نور) ، وسأله (رمزى) ، والسيارة تنطلق بهم ، نحو طريق (حلوان) .
- أتظننا نستطيع العثور عليها بالفعل يا (نور)؟
غمغم (نور) :
- أتمنّى هذا .
تلاهم بعد عبارته صمت عميق ، وانطلقت سيارة (نور) عبر الطريق المظلم ، دون أن ينتبه أحد ركابها إلى تلك السيارة ، التى تتبعهم من بعيد ، بمصابيح مطفأة ، وهى تحمل شعار الشرطة ، على الرغم من أن راكبها ، الذى يضع على عينيه منظارًا خاصًا ، للرؤية فى الظلام ، لم يكن ينتمى أبدًا إلى جهاز الشرطة الجديد ..
.. ولاحتى إلى (مصر) كلها ..
لقد كان أمريكيًا .
أمريكيًا يدعى (كيرك) ..

* * *

٩ ـ الكنز ..

فرك الفلكى (هاشم سليم) عينيه ، فى محاولة لإبعاد آثار النوم عنهما ، وهو يتطلّع إلى (نور) وفريقه فى دهشة ، قائلاً :

ـ المرصد القديم؟!.. ولكنه مُغلق منذ عشر سنوات على الأقل ، بعد أن أقاموا مرصد الصحراء الغربية !

قال (نور) :

ـ ولكنك تشرف على صيانته ورعايته ، منذ ذلك الحين .

هزّ (هاشم) رأسه ، وقال :

ـ كان هذا قبل الغزو ، ولكننى لم أطأ أرض المرصد بقدمى ، منذ جاء المحتلون ، ومع فترة القنبلة ، نسيت بالطبع كل شىء عنه ، ولم أتذكره إلا بعد الـ ..

قاطعه (نور) بصبر نافد :

ـ أعلم هذا ، ولكننا نحتاج إلى استخدام المرصد الليلة .

هتف (هاشم) مستنكرًا :

ـ الليلة ؟!.. أتعلم كم الساعة الآن؟

أجابه (نور) :

ـ أعلم ، ولكنه أمر يتعلّق بأمن الدولة .

ردّد (هاشم) :

ـ أمن الدولة ؟!.. عجبًا !.. العبارة تبدو لى عجيبة ، فى هذه الأيام .

قال (رمزى) :

ـ ولكنها تناسب الموقف تمامًا .

صمت (هاشم) ، وهو يتطلّع فى وجوههم جميعًا ، ثم قال :

ـ من أنتم بالضبط؟

أجابه (نور) ، وهو يبرز بطاقته الخاصة :

ـ إننا فريق خاص ، من المخابرات العلمية المصرية .

تطلّع الرجل إلى البطاقة ، ثم قال :

ـ حسنًا .. أنا واثق من أنكم تنتمون إلى المخابرات المصرية ، ولكن استخدام المرصد يحتاج إلى تصريح خاص .

قال (نور) فى حزم :

ـ سأتحمل المسئولية كاملة .

ابتسم (هاشم) ، وقال :

ـ حسنًا أيها الرائد (نور) .. إننى أثق بك .

ارتدى ثيابه فى سرعة ، وصحبهم فى سيارة (نور) ، إلى المرصد القديم ، ولم يكد المرصد يبدو ، حتى قالت (نشوى) فى انبهار :

ـ أتعلمون .. إنها أوّل مرة أشاهد فيها مرصدًا تقليديًا(*) .

(*) المرصد : مبنى لرصد وتسجيل المعلومات الفلكية ، ومعلومات الطقس ، والمغناطيسية والزلازل ، وأقدم المراصد المعروفة هو مرصد (الاسكندرية) (٣٠٠ ق . م) ، ولقد أنشئ مرصد (حلوان) فى مدينة (حلوان) بـ(القاهرة) ، عام (١٩٠٣ م) .

قال (رمزى) ، وهو يتطلع إليها مبتسمًا فى حنان :
ـ إنه يبدو لى رومانسيًا للغاية .
أجابه (نور) :
ـ أما أنا ، فيبدو بالنسبة إلىّ أشبه بالأمل .
قالها وهو يوقف سيّارته أمام المرصد ، فهبط منها (هشام) ، وهو يسأله :
ـ الأمل فى ماذا ؟
ابتسم (نور) ، وهو يقول :
ـ فى العثور على الكنز ..
تطلّع إليه الرجل فى دهشة ، وهو يقول :
ـ كنز ؟!
ربّت (نور) على كتفه ، وقال :
ـ لاعليك يارجل .. إنه مصطلح نستخدمه ، للإشارة إلى ذلك الشىء ، الذى نحتاج إلى معاونتك ، للعثور عليه .
سأله (هاشم) ، وهو يفتح باب المرصد :
ـ للعثور على ماذا ؟.. نجم جديد ؟!
انفتح باب المرصد ، وبدا أمامهم (التليسكوب) العملاق ، فتطلّعوا إليه فى انبهار ، فى حين تقدّم نحوه (هاشم) فى بساطة ، و (نور) يجيبه :
ـ بل هو جسم أصغر من هذا كثيرًا .
سأله (هاشم) ، وهو يعدّ المنظار الضخم للعمل :

ـ كم تبلغ مساحته الكلية ؟
تنحنح (نور) ، وأجاب :
ـ قطره حوالى ثمانين سنتيمترًا .
توقّف (هاشم) عن العمل بغتة ، واعتدل قائلًا :
ـ تقصد ثمانين ألف كيلو متر .
تنحنح (نور) مرة ثانية ، وقال :
ـ بل ثمانين سنتيمترًا فحسب .
انعقد حاجبا (هاشم) فى غضب ، وهو يهتف :
ـ أى عبث هذا ؟ .. هل أيقظتنى من نومى ، وأتيت بى إلى هنا ، لتسخر منى أيها الرائد ؟!
أجابه (نور) :
ـ أقسم إننى جاد تمامًا .
صاح (هاشم) غاضبًا :
ـ جاد ؟! .. أية جدية فى هذا ؟.. أتعلم مايمثله جسم له هذا الحجم ، وسط الفضاء الكونى ؟!.. إنه لايساوى ذرة واحدة ، وسط هذه القاعة الضخمة .. إننا كنا نرصد نيازك ، يبلغ حجم الواحد منها حجم منزل من طابقين ، فنقول إنه أصغر من أن نتابعه .
قال (نور) فى جدية شديدة :
ـ ولكن هذا الجسم الذى نبحث عنه أهمّ من أن نتركه .. إنه المستقبل .. مستقبل الأرض كلها .

كان للأسلوب واللهجة ، اللذين استخدمهما (نور) أثرهما الرائع ، فى الفلكى ، الذى تطلع إليه لحظة ، ثم قال فى خفوت :

- مستقبل الأرض كلها ؟

أجابه (نور) :

- نعم .. ثق بقولى هذا ، فلن يمكننى إفادتك بتفاصيل أكثر .

صمت الرجل لحظات ، وهو يتطلع إلى وجه (نور) ، ثم قال :

- إننى أثق بك ، ولكن ..

لم يتم عبارته ، وبدا القلق على وجهه ، فسألته (سلوى) :

- ولكن ماذا ؟

لوّح بكفه فى يأس ، وهو يجيب :

- ولكن البحث عن شىء بمثل هذا الحجم ، أشبه بالبحث عن إبرة ، فى كومة من القش .

قال (نور) :

- لو استخدمنا عقولنا ، يمكننا استخراج الإبرة ، من كومة القش .

سأله فى يأس :

- كيف ؟

أجابه (نور) فى حسم :

- باستخدام مغناطيس قوى .

ثم استدرك فى سرعة :

- وهذا ينطبق على مشكلة الإبرة ، فى كومة القش .

ظل الرجل ينظر إليه لحظات فى صمت ، ثم ابتسم قائلاً :

- أنت على حق .. باستخدام العقل ، يمكننا أن نحل أعقد المشكلات .

ثم جلس على مقعد خاص ، خلف منظار الرصد ، وهو يسأل فى حماس :

- ألديكم أية فكرة ، عن إحداثيات المكان ، الذى ينبغى أن نبحث فيه ، عن هذا الشىء .

أجابته (نشوى) :

- هاهى ذى الإحداثيات .

تطلع إلى الورقة ، التى دوّنت فوقها الإحداثيات ، ثم قال :

- هذه الإحداثيات تنطبق على منطقة واسعة ، بالنسبة للبحث الفلكى .. ولكن معرفة المسافة يساعدنا كثيرًا .. والآن ، ما المفروض أن نجده ، فى تلك البقعة الفضائية .

أجابه (نور) :

- كرة فيروزية متألقة .

عقد الرجل حاجبيه ، وقال فى دهشة :

- كرة ماذا ؟! .. أهو كنز حقيقى ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

- إنه كذلك بالنسبة لنا .

هزّ (هاشم) كتفيه ، وقال :

ـ لا بأس .. سنبدأ بحثنا .
وبدأ رحلة البحث عن الكنز ..
كنز الفضاء ..

* * *

مطت (مشيرة) شفتيها فى غضب ، دون أن تتبادل كلمة واحدة مع (أكرم) ، طوال الطريق ، من مقر المخابرات العلمية ، إلى منزلها الجديد ، حتى قطع (أكرم) صمتها هذا ، وهو يقول فى مرح :

ـ هل أكلت الهرة لسانك؟

أجابته فى حدة :

ـ ليست بى رغبة فى المزاح الليلة .

تطلع إليها فى حنان ، وقال :

ـ ألا تفكرين سوى بالعمل؟

هتفت :

ـ بالطبع .

ضغط فرامل سيارته ، وتركها تتوقف على جانب الطريق ، وهو يقول :

ـ لماذا يا (مشيرة)؟

التفتت إليه فى دهشة ، قائلة :

ـ لماذا ماذا؟

ثم أضافت فى حدة :

ـ ولماذا توقفت هنا؟

ابتسم قائلاً :

ـ لدى ما أرغب فى قوله لك ، تحت ضوء القمر .

تطلعت إليه لحظة ، وقالت فى خفوت :

ـ ما هذا الذى ترغب فى قوله؟

أجابها فى حنان :

ـ شعورى تجاهك .

بدأت حمرة الخجل تتصاعد إلى وجنتيها ، وهى تقول :

ـ أى شعور هذا؟

تطلع إلى عينيها مباشرة ، وقال :

ـ أحبك .

ارتجف جسدها لكلمته ، وتمتمت :

ـ تحبنى؟!

أجاب ، وهو يلتقط أصابعها بأنامله :

ـ بل أعبدك .. أعشقك .. أراك أجمل امرأة فى الدنيا كلها .

تمتمت مبتسمة :

إننى كذلك بالفعل .

ضحك قائلاً :

ـ أوافقك بلا أدنى تحفظ .

ضحكت بدورها فى حياء ، ثم لم تلبث أن استعادت جديتها ، وهى تقول :

- ولكنك لاتعرف عنى الكثير يا (أكرم) .

أجاب مبتسمًا :

- يكفينى ما أعرفه .

تنحنحت فى حرج ، وقالت :

- أتعلم أننى كنت يومًا زوجة لـ(رمزى)؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. أعلم هذا .

قالت فى تردد :

- وأننى ..

ثم بترت عبارتها دفعة واحدة ..

لم يكن من المنطقى أن تخبره أنها مازالت تحب (رمزى) ..

إنها حتى لم تعد واثقة من هذا ..

لقد كانت تحبه فيما مضى ، وهى تعلم أنه الآن غارق فى حب (نشوى) ، ابنة (نور) و (سلوى) ، على الرغم من فارق السن بينهما ، وأن (نشوى) تبادله هذا الحب ، ولكنها لاتستطيع أن تصف شعورها نحوه بالحب ..

ربما كانت تحب (محمود) ..

أو أنها أحبته هذا المساء ..

لقد خفق قلبها فجأة ، وهى تتطلع إليه ، بعدما أنقذ حياتها ..

أو أنها لاتحب إطلاقًا ..

.. لم تعد تدرى ..

«وأنك ماذا؟..» .

.. أنتزعها (أكرم) بهذا السؤال من أفكارها ، فالتفتت إليه ، وتطلعت إلى وجهه لحظة ، وكأنما تراه لأول مرة ، ثم هتفت فى عصبية :

- وأننى أحب عملى للغاية .

ضحك فى بساطة ، على الرغم من عصبيتها ، وقال :

- ومن اعترض على هذا؟

واصلت بنفس العصبية ، وكأنما يحنقها عجزها عن البوح بحقيقة مشاعرها :

- (نور) .. لقد رفض السماح لى بالعمل .

قال محاولاً تهدئتها :

- وقال إنه أمر سرى ، وبالغ الخطورة .

هتفت فى حنق :

- إنه يقول هذا دائمًا .

قال فى خفوت :

- ولكنه على حق .. إنه عملهم ، أما نحن فمدنيان ، كما قال هو تمامًا .

قالت محتدة :

- ولكننى صحفية ، ومن واجبى أن أسعى وراء الحقائق .

اعتدل قائلاً فى حزم :

ـ ليس عندما يكون ذلك ضارًا .
ثم عاد يميل نحوها ، مستطردًا :
ـ صدقينى يا (مشيرة) .. لقد علمتنى تجاربى ، أن التدخل فى بعض الأمور ، ذات الحساسيات الخاصة ، يفسدها .
قالت فى عناد :
ـ أريد أن أعرف .. إنها مهنتى .
ـ أجاب فى صرامة :
ـ ليس بهذا الأسلوب .
انهمرت دموعها فى حرارة ، على نحو مباغت .
إنها لم تعد تحتمل القتال فى قضية وهمية ..
ولا يمكنها الإفصاح عن مشاعرها ..
لا يمكنها هذا أبدًا ..

* * *

تسلق (كبرى) المكان ، حتى بلغ القبة العلوية للمرصد ، وثبت نفسه على جدارها الخارجى ، بوساطة آلات شفط خاصة ، ثم أخرج من جيبه جهاز اتصال فائق القوة ، وضغط على أحد أزراره ، وهو يقول :
ـ هنا (كومار) ، من الأرض الوسيطة .. هل تسمعنى؟
أتاه صوت متوتر ، يقول :
ـ أسمعك يا (كومار) .. كيف حالك؟.. هل توصلت مع (سافا) إلى الدواء المنشود؟

ثم أخرج من جيبه جهاز اتصال فائق القوة ، وضغط على أحد أزراره ، وهو يقول : ـــ هنا (كومار) ، من الأرض الوسيطة ..

كان الحديث يتم بشفرة خاصة ، وبأسماء كودية مدروسة ، فأجاب (كيرك) فى اهتمام :

ـ (سافا) ذهبت ولم تعد ، بسبب خطأ منها .. ومعها ذهب الدواء ، ولكننى أراقب الآن طاقم الحراسة المسئول عنه ، وأظنهم يعرفون موضعه ، أو أنهم يحاولون معرفته .

أتاه الصوت غاضبًا هذه المرة ، يقول :

ـ وماذا تنتظر يا (كومار) .. هاجم الطاقم .. أرسلهم خلف (سافا) ، واحدًا بعد الآخر .. المهم أن تحصل على الدواء ..

أجاب (كيرك) فى حزم :

ـ سأفعل .. انتهى الاتصال .

أغلق الجهاز ، وأعاده إلى جيبه ، ثم تسلّل إلى فتحة المرصد ، التى يطلّ منها المنظار العملاق ، وثبّت فى أذنه سمّاعة خاصة ، تتيح له سماع مايدور بعيدًا عنه ، وسمع (نور) يسأل (هاشم) :

ـ ألم تجدها بعد؟

أجابه (هاشم) ، وهو مايزال يراقب المنطقة المنشودة بالمنظار :

ـ الأمر ليس بهذه السهولة أيها الرائد ، فالحجم البالغ الضآلة ، قد يجعل تلك الكرة تفلت منا ، دون حتى أن ننتبه إلى وجودها .

لم يجد (نور) مايقوله ، فعاد يجلس إلى جوار رفاقه ، وأطلق زفرة حارة ، جعلت (سلوى) تربّت عليه ، قائلة فى تعاطف :

ـ سنجدها بإذن الله .

غمغم (نور) :

ـ أتمنّى هذا .

وأسند رأسه من الخلف إلى حائط المرصد ، وأسبل جفنيه فى إرهاق ، فقالت (نشوى) فى حنان :

ـ كم ترهق نفسك ياأبى، من أجل الأرض .

قال فى تهالك :

ـ إننى أفعل هذا من أجلك يابنيتى ، فالمحافظة على عالم اليوم ، والقتال من أجل عالم متوازن عادل ، هو الضمان الوحيد لمستقبلك .

تمتمت فى حنان :

ـ أعلم هذا .

ثم اعتدلت تسأله فى اهتمام :

ـ ولكن أتظن أن استعادة الأرض لفنونها وتاريخها ، قد يفيد كثيرًا ، فى تحسين عالمنا ؟

أجاب فى تراخ :

ـ بالتأكيد .

سألته :

- وما الذى ستفعله بالأرض صورة لـ (إنسل آدمز)(*) ، أو لوحة من لوحات (بول جوجان)؟(**) .

اعتدل بجذعها فى جدية :

- الكثير .. يكفى أنها ستخلق جيلا يدرك الفنون ويتذوقها ، ويمكنه أن يبدع مثلها .. إنها ستهذب الروح والعقل يابنيتى .

وشرد ببصره مرة أخرى ، مستطردًا :

- ثم هناك التاريخ ، الذى لاتصلح أمة دون معرفته ، ودراسته ، والإفادة من كل ما فيه من عبر ونماذج .

ابتسمت وهى تطبع قبلة على وجنته ، قائلة :

- أنت رائع يا أبى .

ابتسم بدوره ، وهو يتمتم :

- وأنت أرق ابنة ، فى العالم كله .

وفجأة هتف (هاشم) :

- ها هى ذى .. لقد عثرت عليها .

واعتدل (كبرك) فى مكمنه فى انفعال ..

لقد عثر على غايته ، ولم يعد أمامه سوى التقاطها ..

ومن بين جثث (نور) وفريقه ..

ودماء (مصر) كلها .

* * *

(*) (إنسل آدمز) - مصوّر فوتجرافى شهير ، يعد والد هذا الفن ، فى العصر الحديث ، وله عشرات المؤلفات الرائعة فيه .

(**) (بول جوجان) - (١٨٤٨ - ١٩٠٣م) مصور ورسام فرنسى ، ارتبط بحركة التأثيريين ، ورسم أعظم أعماله فى (تاهيتى) ، وتضعه قوة تكويناته ، وروعة ألوانه ، فى مصاف أعظم فنانى مابعد التأثيريين .

١٠ - بين النجوم ..

بدا التوتر بكل صوره ، على وجه النحيل ، وهو يجلس خلف مكتبه ، فى ذلك المقر السرى ، للمخابرات العلمية الأمريكية ، أسفل قاعدة تمثال الحرية القديم ، وأطلت من عينيه نظرة ترقب واضحة ، وهو يتطلع إلى باب حجرته ، حتى ارتفع من جهاز الاتصال أمامه ، صوت هادى ، يقول :

- هنا الملازم (ميرفى) ياسيدى .. فى خدمتك .

أسرع النحيل يضغط أحد الأزرار العديدة على مكتبه ، فتحرك باب الحجرة ، كاشفًا عن شاب وسيم ، هادى الملامح ، يبدو لك - من النظرة الأولى - أشبه بالممثلين الرومانسيين ، وهو يعبر الحجرة فى خطوات رصينة ، وعلى شفتيه ابتسامة عذبة ، متجهًا إلى حيث يجلس النحيل ، الذى استقبله فى لهفة واضحة ، وهو يقول :

- اجلس يا (ميرفى) .. أحتاج إلى التحدث معك بعض الوقت .

قال الشاب فى هدوء ، وهو يجلس على المقعد المقابل للمكتب ، دون أن تفارق ابتسامته شفتيه :

- أنا فى خدمتك ياسيدى .

أغلق النحيل الباب ، بضغطه زر أخرى ، ثم أدار جهازًا

خاصًا ، يجعل التصنت على مكتبه مستحيلًا ، وتنحنح فى توتر ، قبل أن يقول :

ـ أنت تعلم أننا أرسلنا (كيرك) و(ساندرا) إلى (القاهرة الجديدة) ، فى مهمة عاجلة .

أجابه الشاب :

ـ أعلم ياسيّدى .

ثم سأل فى حذر ، وابتسامته ما تزال تعلو شفتيه :

ـ هل وصلت أية أخبار عنهما ؟

لوّح النحيل بكفه ، قائلًا :

ـ لقد أجريت اتصالًا مع (كيرك) منذ قليل .

قالها بلهجة لاتوحى أبدًا بحسن سير الأمور ، فقال (ميرفى) بنفس الهدوء :

ـ ماذا ؟

عاد النحيل يلوّح بكفه فى توتر صامت ، وملامحه تعكس كل ماتلتهب به أعماقه من قلق دفين ، قبل أن يزدرد لعابه فى صوت مسموع ، ويقول فى شىء من الانفعال :

ـ أنت تعرف (كيرك) .. إنه لايعلن فشله أبدًا ، ولكن رسالته المقتضبة توحى به أكثر مما ينبغى .. لقد لقيت (ساندرا) مصرعها ، وفقد هو مكعبات الكمبيوتر ، بعد أن كان قد حصل عليها ، وهذا يعنى أنه قد اشتبك مع المصريين فى قتال مباشر ، بأوراق مكشوفة ، وهذا لايفيدنا فى الوقت

الحاضر ، ولا يخدم قضيتنا ، وعلى الرغم من هذا ، فـ(كيرك) يشير إلى أنه يسيطر على الأمور فى الوقت الحالى .

سأله (ميرفى) :

ـ ما الذى يُقلقك إذن ياسيّدى ؟

تنهّد الرجل ، قبل أن يقول :

ـ الكثير يا (ميرفى) .. الكثير .

ثم اعتدل فى مقعده ، واستطرد :

ـ لقد أنهى (كيرك) الاتصال فى سرعة ، وبكلمة مقتضبة للغاية ، والجهاز الذى يحمله ، لايسمح لى بالاتصال به ، بل يمنحه وحده هذا الحق ، ثم إن الموقف ، حسبما فهمته من حديثه القصير ، يمرّ بمرحلة بالغة الخطورة والدقة ، وهذا يعنى أن العملية لم تعد مضمونة ، أو مأمونة ، فلو فشل (كيرك) فى مهمته ، وفاز المصريون بالغنيمة ، فقد يجعلهم هذا أقوى دولة فى العالم ، فى هذا العصر الجديد ، وليس من الحكمة أن تبدأ أقوى دول العالم عهدها ، وهى على خلاف عملى ، مع الولايات المتحدة الأمريكية .. أليس كذلك ؟

أومأ الشاب برأسه فى هدوء ، وأجاب :

ـ هذا صحيح .

ثم تراجع فى مقعده قليلًا ، قبل أن يستطرد :

ـ ولكن من الأفضل أن تكون تلك الدولة الأقوى ، هى (أمريكا) نفسها .

رمقه النحيل بنظرة امتنان ، وهو يقول :

- هذا ما نتمناه جميعا .

عبرتهما لحظة من الصمت والسكون ، قبل أن يميل الشاب نحو النحيل مرة أخرى ، قائلا :

- وما الذى يمكن فعله ؟

تطلع إليه النحيل فى ارتياح ، وبدا من الواضح أنه يحمل له إعجابا واحتراما خاصين ، وهو يقول :

- العملية تحتاج إلى رجل أقوى .. رجل هادى الطباع ، قوى الشكيمة ، يحتفظ بابتسامته على شفتيه ، وبدمائه الباردة فى عروقه ، حتى وهو يذبح طفلا أمام والديه ، دون أن ترتجف فى جسده شعرة واحدة .. رجل بلا قلب أو مشاعر .. رجل يمكنه نسف دولة بأكملها ، دون أن تأخذه بها شفقة أو رحمة ، لو أن هذا يفيد عمله بقرش واحد .

ثم تراجع ملقيا نظرة طويلة على الشاب ، قبل أن يستطرد :

- باختصار ، العملية تحتاج إليك .

امتلأت ابتسامة الشاب بالزهو ، وهو يعتدل فى مقعده ، ويشد قامته فى اعتداد ، ويقول :

- أنا رهن إشارتك ياسيدى .

ثم استدرك فى خبث :

- ولكن ..

سأله النحيل فى قلق :

- ولكن ماذا ؟

اتسعت ابتسامة (ميرفى) بالدهاء ، وهو يقول :

- المفروض أننى أعمل فى القسم الداخلى ، للتخطيط والمتابعة ، وليس فى قطاع العمليات الخارجية .

قال النحيل فى لهفة :

- سأنتدبك إلى قطاعى .

اتسعت ابتسامة (ميرفى) ، وامتلأت بالدهاء والخبث أكثر وأكثر ، وهو يقول :

- ليس هذا ما أقصده ياسيدى ، وإنما أقصد أن عملية ضخمة كهذه ، تستحق حتما مكافأة كبيرة .

ثم استدرك فى خبث :

- فى حالة نجاحها بالطبع .

انعقد حاجبا النحيل ، وهو يقول فى حدة :

- أنسيت أنك مواطن أمريكى يا (ميرفى) ؟

أجابه (ميرفى) ، وابتسامته تتألق على شفتيه :

- لا ياسيدى .. لم أنس هذا قط ، ولكننى أحتاج إلى حافز قوى ، للقيام بالمهمة على خير وجه .

صاح به النحيل فى غضب :

- ألا يكفيك أن نجاح هذه العملية ، سيعيد إلى دولتك موقعها السابق ، كأقوى دولة فى العالم ؟

قال (ميرفى) فى خبث :

- أمن المفروض أن يكفينى هذا ؟

أدرك النحيل أنه يتحدث إلى داهية ، وأن (ميرفى) هذا من ذلك الطراز المادى ، الذى لايمكن استمالة مشاعره قط ..

هذا لو كانت لديه مشاعر ..

وربما يعود هذا إلى أصوله القديمة ..

إلى طبيعة منشئه ..

أو إلى جذوره اليهودية ، أو ..

ولكن لامجال لدراسة وبحث هذا الآن ..

إنه الرجل المناسب للعملية تمامًا ..

وطبيعته هذه ، هى التى ستؤمن النصر ..

وفى ضيق ، تنهد النحيل ، وقال :

ـ حسنًا يا (ميرفى) .. ما المكافأة التى تطلبها ، فى حالة نجاح المهمة ؟

تألقت ابتسامة الظفر على شفتى (ميرفى) ، وقال :

ـ إنها ليست ترقية بالطبع ، ولا رحلة إلى الـ ..

قاطعه النحيل بصبر نافد :

ـ ما الذى تطلبه يا (ميرفى) ؟

أجاب الشاب فى سرعة :

ـ مليار .

هتف النحيل فى حدة :

ـ ماذا ؟

أجاب (ميرفى) فى هدوء ، وابتسامته العذبة لاتفارق شفتيه قط :

ـ مليار ياسيّدى .. مليار دولار .

صاح النحيل :

ـ هل جننت يا (ميرفى) ؟ .. مليار دولار دفعة واحدة .

قال (ميرفى) فى هدوء :

ـ لست أظنه مبلغًا ضخمًا ، بالنسبة لدولة تسعى لاستعادة مكانتها ، بين دول العالم .

ثم مال نحو رئيسه ، مستطردًا :

ـ بل إنها قد تصبح أقوى دول العالم أجمع .

هتف النحيل محنقًا :

ـ أتعلم ما يعنيه هذا المبلغ ، والعالم يمر بمرحلة إعادة البناء هذه ؟

أجابه (ميرفى) ، وقد تألقت عيناه ببريق شره :

ـ يعنى الكثير .

واستدرك فى سرعة :

ـ لى بالطبع .

صاح النحيل :

ـ أنت مادى للغاية يا (ميرفى) .

تراجع الشاب مبتسمًا ، وهو يقول فى أسى ساخر مفتعل :

ـ كم يحزننى هذا ياسيّدى .

ضرب النحيل سطح مكتبه فى حدة ، قائلًا :

ـ وماذا لو أمرتك بإتمام هذه المهمة ، دون بنس واحد ، يزيد على راتبك ؟

أجابه (ميرفى) على الفور ، بحماس مفتعل :

- سأقوم بها بالطبع ياسيدى .

ثم عاد يسترخى فى مقعده ، مستطردًا :

- ولكننى لست أضمن نجاحها .

عضَّ النحيل شفتيه حنقًا ، وتطلع إلى (ميرفى) فى غيظ ، قبل أن يقول محتدًا :

- فليكن يا (ميرفى) .. ستحصل على المليار دولار .

تألقت عينا (ميرفى) بالظفر ، فاستدرك النحيل فى صرامة :

- فى حالة نجاح المهمة بالطبع .

نهض (ميرفى) ، وهو يبتسم فى ظفر ، قائلًا :

- بالطبع ياسيدى .. بالطبع .

ثم سأله بابتسامته الناعمة :

- متى يمكننى السفر إلى (القاهرة الجديدة)؟

أجابه فى حدة :

- الآن .. لقد أمرت بإعداد حقيبة أسلحة خاصة لك ، وستنقلك آخر زوارقنا الذرية إلى ساحل (الإسكندرية) ، بعد ساعة واحدة .

انحنى (ميرفى) ، وقال :

- سمعًا وطاعة ياسيدى .

تابعه النحيل ببصره وهو ينصرف ، ثم قال فى مقت :

- لولا أننى واثق من قدرتك على ربح هذه المعركة ، لقتلتك هنا بلا رحمة يا (ميرفى) .

ثم انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يستطرد :

- ولكن لا بأس .. انجح فى مهمتك أولًا ، وبعدها ستحصل على ماتستحق .

وفتح درج مكتبه ، وألقى نظرة على مسدسه الليزرى الراقد داخله ، قبل أن يستطرد :

- ماتستحقه تمامًا .

وأغلق الدرج فى حدة ..

* * *

لم يكد (هاشم) ينطق عبارته ، حتى هبَّ أفراد الفريق من أماكنهم ، واندفعوا نحوه ، وهتف به (نور) فى لهفة :

- هل عثرت على الحقيبة حقًا؟

أجابه (هاشم) مبهورًا :

- لست أدرى ماإذا كان هذا حقيبة أم قطعة من الفيروز والزمرّد ، تتألق وسط الفضاء .. يا إلهى !.. إنه واحد من أجمل المشاهد ، التى وقعت عليها عينى ، منذ عملت فى هذا المجال .

قال (نور) فى انفعال :

- دعنى أنظر إليها .

ضغط (هاشم) زرًا آخر ، وهو يقول :

- كلكم ستنظرون إليها .

مع ضغطه الزر ، اشتعلت شاشة كبيرة ، ملصقة على جدار المرصد ، وظهرت عليها الصورة ، التى ينقلها المنظار العملاق ..

وكانت الصورة مبهرة بحق ..

كانت كرة الطاقة الفيروزية المتألقة تسبح فى الفضاء ، وهى تدور حول نفسها فى بطء ، وقد انعكست عليها أشعة الشمس ، المتسللة من خلف استدارة الكرة الأرضية ، فزادت من تألقها وبهائها ، حتى لقد بدت وسط الفضاء المظلم ، أشبه بشمس فيروزية صغيرة ، تتراقص كراقصة باليه رقيقة ، وسط معزوفة الكون الرائعة .

وتطلع الجميع إلى المشهد فى انبهار ..

وتمتمت (نشوى) فى انبهار :

- يا للروعة !

وقال (رمزى) :

- إنه أجمل مشهد وقع عليه بصرى ، فى عمرى كله .

أما (سلوى) ، فعلقت قائلة :

- إنها كنز .. كنز حقيقى .

وغمغم (محمود) :

- كنز عسير المنال .

قال (نور) فى حماس :

- المهم أننا قد عثرنا عليه ، وحددنا موقعه .

ثم سأل (هاشم) فى اهتمام :

- هل يمكننا متابعة هذه الكرة؟

أومأ (هاشم) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالتأكيد .. يمكننا تركيز المنظار عليها ، ودفعه إلى التمسك بمسارها إليكترونيًا ، للعودة إليها ، كلما وقعت فى مجال رؤيته .

سألته (سلوى) فى دهشة :

- قل لى يا سيد (هاشم) : لماذا أغلقتم هذا المرصد ، مادام يحوى كل هذه الإمكانات؟

أجابها فى وجوم :

- لأن إمكانياته هذه تبدو بدائية للغاية ، أو كانت تبدو كذلك ، مع صنع المراصد الأخرى العملاقة ياسيدتى .

سأله (نور) فى اهتمام :

- هل يمكنك تحديد إحداثيات تلك الشمس الفيروزية الصغيرة ، على نحو أكثر دقة؟

أجابه (هاشم) فى حماس :

- بالطبع .. المنظار نفسه يمنحك هذه الإحداثيات .

ضغط زرًا آخر ، فارتسمت الإحداثيات على شاشة المرصد ، وقال (رمزى) :

- هذا مانسعى إليه .

وهزّ (محمود) رأسه ، قائلًا :

ـ صحيح أننا عثرنا على الحقيبة ، ولكن يبقى السؤال الأخطر والأهم ، وهو : كيف يمكننا استردادها ؟

أجابه (نور) :

ـ المهم أن نعلم موقعها يا (محمود) ، وسنجد حتمًا الوسيلة لذلك .

أتاه صوت من أعلى ، يقول :

ـ دع لى هذه المهمة .

رفع الجميع رءوسهم فى دهشة ، إلى مصدر الصوت ، ورأوا (كيرك) يهبط إليهم ، مستخدمًا حزام الطيران ، ويصوّب مسدسه الليزرى إلى رءوسهم ..

وهبط (كيرك) على قدميه أمامهم ، وهو يبتسم ابتسامة واثقة ظافرة ، ويقول :

ـ لا تشغلوا أنفسكم بالبحث عن وسيلة استرداد كنزكم الفضائى ، فأنا أيضًا أحفظ إحداثياته ، ولقد سجّلت كل كلمة نطقتم بها هنا .

ثم أطلق ضحكة واثقة ، قبل أن يستطرد :

ـ يالكم من فريق يسهل خداعه !.. لقد تبعتكم إلى هنا ، دون أن يشعر أحدكم بهذا ، واستخدمت حزام الطيران ، لأصعد إلى قبة المرصد ، وكأنى أدخل منزلى الخاص .

قال (محمود) فى حدة :

ـ أنت وغد .

قال (كيرك) ساخرًا :

ـ حقًا ؟! .. ولكن هذا الوغد نجح فى خداعكم من قبل ، عندما أوهمتكم أننى أحمل جهاز تصوير هولوجرافى ، ينقل كل ما يحدث بيننا إلى زميلتى ، فى حين لم أمتلك أبدًا جهازًا كهذا .

سأله (نور) فى برود :

ـ كيف نجوت من الانفجار الذرى ؟

هزّ (كيرك) رأسه فى زهو ، وقال :

ـ لم يكن ذلك سهلًا .. ولكننى عبقرى .

وأخرج من جيبه قناع أكسجين صغير ، وهو يستطرد :

ـ لقد استخدمت حزام الطيران بكل قوته ، وارتفعت به حتى نهاية جدران أسطوانة الطاقة ، وكاد نقص الأكسجين يقتلنى ، فى ذلك الارتفاع الهائل ، ولكننى ارتديت هذا القناع الأنيق ، ونجحت فى عبور جدار الطاقة ، إلى الجانب الآمن منه ، قبل الانفجار بثوان معدودة ، ولكن المسكينة (ساندرا) لم تنجح فى ذلك .

نطق عبارته الأخيرة ، وهو يبتسم فى سخرية ، فقالت (نشوى) فى حدة :

ـ هذا يثبت أنك وغد .

هزّ كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ـ فليكن .. ولكن هذا الوغد انتصر عليكم جميعًا .

ثم وضع قناع الأكسجين على وجهه ، وهو يتابع :

- هل تعلمون لماذا أخفى وجهى بقناع الأكسجين هذا؟.. لأننى أنوى استخدام هذه .

أخرج من جيبه كرة صغيرة ، داعبها بأصابعه ، مستطردًا :

- إنها قنبلة .. قنبلة غاز ، ولكنه ليس مجرّد غاز مخدّر ، كذلك الذى استخدمته فى المرة السابقة .

وتألقت عيناه فى جذل ، وهو يضيف :

- إنه غاز سام قاتل .

اتسعت عينا (هاشم) فى رعب ، والتصق بمنظار المرصد فى هلع ، وتشبثت (نشوى) بأمها ، فى حركة غريزية ، وأطلقت (سلوى) شهقة خافتة ، فى حين قال (نور) فى صرامة :

- أتظن أنك ستنجو ، بعد كل هذا؟

أجابه (كيرك) ساخرًا :

- بالطبع .. من يمكنه منعى من هذا؟

اندفع (نور) نحوه بغتة ، وهو يهتف:

- أنا .

ولكن (كيرك) تراجع فى سرعة ، وأطلق أشعة مسدسه نحو (نور) ، وهو يهتف:

- هل تراهن؟

أصابت الأشعة ساعد (نور) ، فتراجع فى عنف ، وتفجّر رذاذ دموى من جرحه ، فصاحت (سلوى) :

- (نور) .. لقد أصابه .

أسرع إليه (رمزى) ، وقال فى توتر :

- إنك تحتاج إلى إسعاف سريع يا (نور) .

وصرخت (نشوى) فى وجه (كيرك) :

- أنت أحقر من رأيت ، فى حياتى كلها .

أطلق (كيرك) ضحكة ساخرة ، وقال :

- اعتبرينى كذلك يا طفلتى ، لو أن هذا يرضيك ، ولكننى أشك فى أن والدك سيحتاج إلى علاج سريع ، أو حتى بطىء .

ثم رفع قنبلة الغاز السام ، مستطردًا :

- فبعد دقائق قليلة ، سأكون الوحيد ، فى الكون كله ، الذى يعرف موقع حقيبة المكعبات ، بكل ماتحتويه من كنوز ثمينة .

تجمّدت الدماء فى عروقهم ، وهو يقول فى سخرية :

- الوداع أيها الأبطال .. الوداع يا فريق المخابرات العلمية المصرية .

وتعلّقت العيون كلها ، بتلك القنبلة القاتلة ، التى يهم بتفجيرها ..

وأدرك الجميع أنه مامن أمل فى النجاة هذه المرة .. مامن أدنى أمل .

* * *

انتهى الجزء الأوّل بحمد الله

ويليه الجزء الثانى

[الأمل الفيروزى]